

الباب الرابع في الآداب الاجتماعية

(١) * أدب الصحبة *

قال حكيم : متى انتظمت بينك وبين أحد صحبة فعليك حقوق وآداب يوجبها عقد الصحبة وهي الايثار بالمال . فان لم يكن فبذل الفضل من المال عند الحاجة * والاعانة بالنفس في الحاجات على سبيل المبادرة من غير احواج الى التماس * وكتمان السر * وستر العيوب * والسكوت عن تبليغ ما يسوء من مذمة الناس اياه * وابلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه * وحسن الاصغاء عند الحديث * وترك المماراة فيه * وان يدعوه باحب اسمائه اليه * وأن يثني عليه بما يعرفه من محاسنه وأن يشكره على صنيعه في وجهه * وأن يذب عنه في غيبته اذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه * وأن ينصحه باللطف والتعريض اذا احتاج اليه وان يعفو عن زلته وهفوته فلا يعتب عليه * وأن يدعو له في خلوته في حياته وبعد مماته * وأن يحس الوفاء مع أهله واقاربه بعد موته * وان يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيئاً من حاجته ويروح قلبه من مهماته وأن يظهر الفرح بما يباح له من مساره * والحزن بما يناله من مكارهه * وان يضم مثل ما يظهره فيكون صادقاً في وده سرّاً وعلانية * وأن يبدأ بالتحية عند اقباله * وأن يوسع له في المجلس ويخرج له من مكانه *

وأن يشيعه عند قيامه * وأن يصمت عند كلامه * حتى يفرغ من خطابه
وأن يترك المداخلة في كلامه * وأن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله
وولده وعن قدح غيره فيه * وأن لا يخفي عليه ما يسمع من الثناء في حقه *
فإن إخفاء ذلك من الحسد . وأن لا يسأله إذا رآه في طريق عن مصدره
ومورده * فربما ثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى الكذب وأن يتجاهل عما
يكرهه منه ويتغافل عن مناقشته *

أوصى أحد الحكماء ابنه فقال : يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة
الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك * وإن صحبته زانك *
وإن قعدت بك مؤونة مانك * اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها *
وإن رأى منك حسنة عدها * وإن رأى سيئة سدها * اصحب من إذا
سأله أعطاك * وإن سكت ابتدأك * وإن نزلت بك نازلة واسأك *
اصحب من إذا قلت صدق قولك وإن حاوت أمراً آمرك * وإن
تنازعتما آثرك *

(٢) (أدب الاصدقاء)

ترفض صداقة من اشتهر بالبخل ومن اشتهر بالتميمة والتلب والسفاهة
ومن عرف بالكبرياء والخفة والطيش وعدم حفظ السر أو اشتهر بحب
الهذر والهذيان والتهتك والخلاعة والكسل ولا يقبل في اتقاخي من

أصيب بخلال في عقله ، أو شذوذ في أفكاره ، حتى لا تسقط درجة آداب
الاخوان وعلومهم . ولا يكون بين أفرادهم واحد لاخير للانسانية
والعمران منه . قال حكيم : احذر مؤاخاة من يجعلك أكبر همه ويؤثر أن
لا يخفى عليه شيء من أمرك فانه يتبعك ويأسرك .

قال الامام الغزالي : اذا طلبت رفيقاً ليكون شريكك في التعلم
وصاحبك في أمر دينك ودنياك ، فراع فيه الشروط التي يصلح بها للاخوة
والصداقة وهي خمس :

(الاولى) العقل فلاخير في صحبة الاحق فالى الوحشة والقطيعة
يرجع آخرها ، وأحسن أحواله أن يضرك — وهو يريد أن ينفعك *
والعدو العاقل خير من الصديق الاحق الجاهل *

(الثانية) حسن الخلق . فلا تصحب من ساء خلقه — وهو من لا
يملك نفسه عند الغضب والشهوة *

(الثالثة) الصلاح . فلا تصحب فاسقاً فان من لا يخاف الله لا تؤمن
غوائله ، بل يتغير بتغير الاعراض والاحوال * ومشاهدة الفسق والمعصية
على الدوام تزيل عن القلب كراهية المعصية وتهون عليه أمرها *

(الرابعة) لا تصحب حريصاً . فصحبة الحريص على الدنيا مم قاتل
لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتماد . بل الطبع يسرق من الطبع من
حيث لا يدري *

(الخامسة) الصدق . فلا تصحب كذاباً فانك منه على غرور .

فانه مثل السراب يقرب منك البعيد . ويبعد منك القريب اه
وقال بعضهم : المختارون من الاصدقاء أهل العلم والدين والحكمة
والعقل ليفيدوه ويقووا قوة تمييزه وعلمه . وأهل شرف يستعان بحجابهم
في الملل . وأهل ثروة يستعان بهم في لم الشعث . وأهل محادثة طيبة في
خلواته يفرغ لهم عند كربه والضجر من أعماله *

وأما أصدقاء الظاهر فيذبغي مجاملتهم والاحسان اليهم . وكتمان
الاسرار عنهم واخفاء الاحوال الخاصة عنهم وترك تحديثهم بنعمه *

وقال آخر : معاشرة الاصدقاء لاتتم إلا بالمؤانسة والمداخلة ولا بد
في ذلك من المزاح المستعذب والاحاديث المستطابة والفكاهة المحبوبة
التي تطلقها الشريعة ويقدرها العقل حتى لا يتجاوزها الى الاسراف فيها
ولا يقصر عنها تهاوناً بها فانها اذا خرجت الى جانب الزيادة سميت مجوناً
وفسقا وخلاعة وما أشبهها من أسماء الذم والى جانب النقصان سميت
مذمماً وعبوساً وشكاسة وما أشبهها من أسماء الذم أيضاً . والمتوسط
بينهما هو الظريف الذي يوصف بالهشاشة والطلاقة وحسن العشرة
ويعرض من الصعوبة في وجود هذا الوسط ما يعرض في سائر الفضائل
الخلقية *

وقال حكيم : متى حصل لك صديق يلزمك أن تكثر مراعاته .
وتبالغ في تفقده ولا تستهينن باليسير من حقه عند مهم يعرض له . أو
حادث يحدث به . فأما مافي أوقات الرخاء فيذبغي أن تلاقاه بالوجه الطلق

والخلاق الرحب وأن تظهر له في عينك وحركاتك وهشاشتك وارتياحك عند مشاهدته إياك مايزداد به كل يوم وفي كل حالة ثقة بمودتك وسكوننا الى غيبك . ويرى السرور في جميع أعضائك التي يظهر السرور فيها اذا لقيتك وان أصابته نكبة أو لحقة مصيبة أو عثر به الدهر كيف تكون مؤاساتك له بنفسك ومالك . وكيف يظهر له تفقدك ومراعاتك ولا تنتظرن به أن يسألك نصريحا أو تعريضا بل اطلع على قلبه واسبق الى مافي نفسه . وشاركه في مضمض ما لحقه ليخف عنه وان بلغت مرتبة من السلطان والغنى فاغمس اخوانك فيها من غير امتنان ولا تطاول : فان رأيت من يحتمسك آنثذ فاجذبه اليك واختلط به وابرأ بذلك من الكبر والصفاف ثم احذر المراء مع صديقك خاصة وان كان واجبا أن تحذره مع كل أحد فان مماراة الصديق تقتلع المودة من أصلها لانها سبب التباين . وقبح أثره لا يخفى . فلا يقف مع المراء محبة ولا يرجى به ألفة . نعم ينبغي أن يكون كل مرآة لآخيه ينصح بعضهم بعضا ويرشد كل أخاه الى سبل الكمال ولا يكتم نقد ما يراه نقصا . فمن تبادل النقد في ساحة المودة على بساط الصفاء يكون الكمال . وينبغي أن لا تؤاخذ صديقك المخلص بالتقصير ولا تجازيه عليه . ولا تعابه عتابا مفرطا وأدم ملاطفته وتعهد أشياءه واهد ما تستحسنه اليه واجتهد في الاكثار من الاصدقاء فان الصديق زين المرء وعضده وناصره ومذيع فضائله

«٣» (أدب الجار)

للجوار حق وراء ما تقتضيه الآخرة . وجلة حق الجار أن يبده
بالحسن . ويعينه إذا استعانه * ويقرضه إذا استقرضه * ويعوده في
المرض * ويعزيه في المصيبة * ويقوم معه في العزاء * ويهنته في الفرح
ويظهر الشركة معه في سروره * وبصفح عن زلانه ولا يطلع من السطح
على عورات * ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره * ولا في مصب الماء
في ميزابه ولا في مطرح التراب في فنائه * ولا يضيق طريقه إلى الدار *
ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره * ولا يستطيل عنه في البناء فيحجب
عنه الهواء إلا بأذنه * ويهديه من فضل ما يجد * ويستر ما ينكشف له من
عورات * وينعشه من صرعه إذا نابتة نائبة * ولا يغفل عن ملاحظة
داره في غيبته * ولا يسمع عليه كلاما ويفض بصره عن حرمة * ويتلطف
لولده في كلمته * ويرشده إلى ما يهمله من أمر دينه ودنياه — هذا إلى
جمله الحقوق المتقدمة *

«٤» (حكايات ونوادر في الحب الصادق)

قص بعضهم ثلاث قصص نادرة في الحب الصادق . قال في (القصة
الاولى) تحت عنوان « الشرف الاعظم » :

﴿ ان اخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك ﴾
﴿ ومن اذا ريب الزمان صدعك * شئت فيه شمله ليجمعك ﴾

(قال) : هذه حادثة يجب أن تكتب بماء الذهب في سائر تواريخ العالم المتمدن لتظهر بعض واجبات الاخ الى اخيه اذا ألت به مله . في الثامن عشر من شهر يناير سنة ١٨٩١ خرجت مفاخرة اخوان من القوة الى الفعل * وتجلت محبتهم برداء الشجاعة والاقدام في مدينة « شيكاغو » فتقدم منهم عدد كبير ليكونوا غرضا لمدينة الجراح ليقطع جزءاً من لحم ذراعهم فيلصقه على فخذ أحد اخوانهم وقاية لحياته * وضمانا لراحته * وذلك ان أحدهم أصيب بسرطان في فخذة الايمن وامتد مقدار قدم . وكان الجراح يعتنى بالمصاب . فرأى ان خير الامور أن يجرد اللحم الفاسد من مكانه ويضع مكانه لحماً آخر يسهل التحامه بالفخذ فذبح الجراح لهذه الغاية جدياً كان في دار المستشفى لتسليمه المرضى وعالج المريض مدة عشرة أسابيع . ولكن لسوء الحظ لم يلتصق لحم الجدي بفخذ المصاب ، فاضطر الجراح أن ينزع لحم الجدي ويجرب لحم الانسان ولكن من أين له بانسان يوجد من لحمه بقطعة تلتصق على فخذ انسان آخر ، ويحتمل عذاب القطع والسليخ والشقاء ؟ وهل في الكون من دافع يدفع قلب الانسان الى تضحية جسده مساعدة لغيره ؟ إلا أنه لم يعز وجودها بين أولئك الاصحاب المتآخين ، إذ كان في مشربهم من الدافع القوي ما يقضى على الصاحب أن يبذل كل مافي وسعه لينقذ أخاه ، ويساعده في السراء والضراء ، فلما علموا ما حل بأخيه وما

يلزم لشفاؤه عقدوا جلسة وتداولوا في شأن مساعدته ، فاكتب منهم ثلاثمائة وقدموا أجسادهم لمدينة الجراح ليقطع منها ما يشاء إكراماً لآخيه المريض وطمعاً في شفاؤه ، فضرب الجراح ميعاداً لذلك اليوم الثامن عشر من الشهر المتقدم ، وصباح ذلك اليوم المعهود ابتدءوا يتقاطرون حتى اكتمل عددهم ، فلما رأى الأطباء كثرتهم ارتثوا أن ينتخبوا « ١٧٥ » منهم ويذهبوا بهم الى المستشفى حيث كان المصاب ، فقسموا الى ثلاث فرق . وتقدمت الفرقة الاولى الى المستشفى وفي مقدمتهم عدد من الأطباء حضروا لمساعدة الجراح في عملية الجراحية ، وكان الجراح قد سبق الجميع الى المستشفى فحذر المصاب بالتحذرات ، وغسل الجرح بالمحلولات اللازمة ، وجهاز الادوية والرباطات ، ثم افاق المصاب من غيبوبته ، ورأى بعينه اخوانه الذين قدموا ليشاطروه الالم ، ويعاونوه على الشفاء من مرضه . فامر الجراح بان يتسدى العملية والسلخ حالا حرصاً على الوقت ، فتقدمت الفرقة الاولى فشمروا عن سواعدهم . أما كيفية قطع اللحم وسلخه ، فكانت هكذا : يأتي الشخص كاشفاً ساعده اليسر فيفركه أحد الأطباء فركاً شديداً ثم يغسل المحل المطلوب سلخه بالماء الحار والصابون ثم بالكحول حتى ينظف الجلد جيداً ثم يتقدم طبيب آخر فيقطع المقدار المعين من الجلد ويسلمه على رأس سكينته الى الجراح ، وهذا يضعه على فخذ المريض ، وللحال يتقدم طبيب آخر ويرش على الذراع المسلوخة مسحوقاً معداً من التحذرات لتخفيف

المهيجان ، ثم يضع قطعاً مبتـلاً بالمراهم والسوائل ويربط الذراع ربطاً متيناً ، ثم يتقدم الثاني وهكذا الى آخر العملية . وفي مدة ساعة ونصف انتهت الفرقة الاولى * وتقدمت الفرقة الثانية فجري برجالها ما جرى بالفرقة الاولى . وكانوا كلهم يتقدمون بجرأة عظيمة غير مباينين بالجراح الا اثنين من هذه الفرقة فانهما غطيا وجهيهما بمنديل عند مس ذراعيهما . ثم حضرت الفرقة الثالثة ولم يقطع من لحم رجالها بقدر ما قطع من الفرقتين السابقتين لان الطبيب اكتفى بما قطع فبلغ عدد الذين سلخت سواعدهم مائة وستة وأربعين « ١٤٦ » ومعدل ما قطع من ذراع الواحد مقدار قيراط مربع . وقد استقل أصدقاء العليل واخوانه هذا القدر لانهم كانوا مستعدين أن يقدموا ما ينيف عن قدم وزيادة . وكان بينهم من أتى من مسافة بعيدة ليقدم ذراعه ضحية لآخيه . ولم تستمر هذه العملية أكثر من ثلاث ساعات ونصف . أما العليل فكان ملقى على جانبه الايسر . وكان كلما دخل عليه واحد منهم يتبسم تبسماً ينوب عن الكلام في اظهار شكره وامتنانه وكان اخوانه يشجعونه ويعزونه في مصابه برقيق الكلام . واشترك في هذه العملية جميع اخوانه على اختلاف أعمارهم ودرجاتهم : فمنهم الشيخ الكبير . والرجل الحازم . والشاب النشيط الذي لم يخط عارضاه بعد . وكان منهم أعمى واحد . وغضب كثيرون من الذين رفض الاطباء قبولهم ولم يصلح صحياً . والذين خاب أملهم حينما أعلن الجراح انه ليس في حاجة بعد الى اللحم . وهذه

لمحبة التي لا توصف كانت سبباً لشفاء العليل وما برح يشكروهم الى آخر
فمس من حياته •

وقال في القصة الثانية تحت عنوان : « النخوة والشهامة والمروءة »
مامثاله : هذه نبذة تدل على شهامة اخوان لم يرضوا بالنفس والنفيس
حباً بمساعدة اخوانهم ومحافظة على عهودهم التي تعاهدوها . فقد نشرت
جريدة «الينوي اردفلو» في عددها الخامس الصادر في ١٥ مايس سنة
١٨٩٥ ماملخصه : دعى أعضاء محافل وعائلاتهم الى احتفال في «شيكاجو»
ثم تلى رئيس الاحتفال ملخص حادثة جرت فقال : في العاشر من شهر
اكتوبر (٢٠) سنة ١٨٩٤ بينما كان صديق غائباً عن منزله في أشغاله
وليس في البيت سوى امرأته وولدهما الصغير وكان نائماً في سريره قامت
والدته لتفتح درجا وييدها مصباح منار بزييت السكر وسين قالت
بالقضاء والقدر وسقط الزيت على الثياب فاشتعلت النيران بسرعة فذهبت
الى الباب تستغيث بالجيران ففطنت الى ولدها فعادت ولفته بملاء وحامته
ولما وصلت الى الباب رآته مقفلاً فلفت الولد جيداً وخرجت من إحدى
نوافذ البيت وكانت النار قد علقت بها ولم تشمر لعظم حرارة منزلها وشغفها
بمخلاص ولدها وأتت مسرعة ولم تصل الى بيوت الجيران الا والنار قد شوهتها
فالقت الولد امامهم سالماً وكانت ذراعها وأحد جانبيها محترقة وكان
لحمها يتساقط عند مسه فأطفأها الجيران ووقعت الى الارض من الألم
ثم جيء بمركبة فنقلتها الى المستشفى وكانت ملفوفة بشال ولما نزع الشال

صار المنظر محزنًا لأن يديها من رؤوس الأصابع إلى العنق والكتفين والجوانب إلى الخصر ومن نصف الثديين إلى الوركاء منتهي قيراطين من العمود الفقري فكانت كلها كتلة لحم محترقة تقع عند لمسها وسماكة الحرق في بعض المواضع قيراطان وفي البعض الآخر لم يحترق سوى الجلد ثم وقعت الأظافر وأكثر المواضع التي حرقت صدئت فيها المواد وشعرت بعد دخولها المستشفى — بست ساعات، بحمي رافقها ألم شديد ونتج من ذلك تقرح في المعدة والأمعاء وأصيبت بأسهال حاد وآلام تفوق الوصف ولا سيما لما كانوا يغفرون لها عن الحروق فانهم كانوا يمكنون ساعتين أو أكثر وكانت تعاني كل أنواع الآلام عند نزع الأنسجة عن لحمها ثم إن الطبيب ومساعديه رأوا أن لا بد من تعويض اللحم الساقط من جسمها بلحم حي وعمل عملية جراحية لعل الله يمن بالشفاء فقدم زوجها نفسه لقطع ما يلزم من لحم جسده حبا بسلامة قرينته التي ضحت بحياتها لأجل ولدها ولكن الأطباء رأوا أنه يلزم أكثر مما يمكنهم أن يأخذوا منه ف تبرع بعض الممرضات بالمستشفى بأخذ قطع من لحمهن حبا أيضا بتلك المصابة . ولما بلغ إخوان زوجها وأصدقاءه ما كان حركتهم النخوة والشهامة إلى مشاركة أخيهم وقرينته وقبل ابتداء العملية جاءوا أفواجا أفواجا وهم ممتلؤا الجسم أصحاب البنية واندفعوا بكل قواهم مظهرين عواطف الحب والولاء وعرضوا أنفسهم على الأطباء ليقطعوا من أجسادهم ماشاؤوا ومن أي جهة

أرادوا لانقاذ حياة امرأة أخيه . ولما حضروا أمام الجراح مدأولا زوجها ذراعيه وقال للطبيب خذ منها ما تشاء فقطع منها ثمانى قطع طول كل قطعة قبراطان وعرضها ثلاثة أرباع القيراط وكان يقول خذ بعد ولم يبد أقل اشارة تدل على الألم بل كان مسروراً لانه استطاع أن يضحى حياته لسلامة امرأته فأخذ الطبيب اللازم ثم قطع من صديقه ثمانى قطع أيضاً ومن غيره خمساً وأتى بعدهم غيرهم يخبرون الاطباء بأخذ اللحم من أجسادهم من أى جهة أرادوا فكان الاطباء يقطعون اللحم وآخرون يخيطون مكان الجروح ويفعلونها بمزيلات الفساد وهلم جرأ وما زالوا حتى عوضوا من كل اللحم المحروق فكان جملة ما أخذوه نحو سبعمائة وخمسين قبراطا مربعا وهى تساوى نحو خمسة أقدام وكان جملة ما أخذ من كل رجل نحو قبراطا أو أكثر والذين أخذوا من لحم ثمانين رجلا عدا امرأتين تبرعتا أيضا فكانت تعزيتها باظهار حنو اخوان زوجها وسرورهم وشجاعتهم وتشجيعهم إياها مما ساءلها كثيرا على احتمال تلك العملية الغريبة النادرة المثال ولحها مكشوف للهواء . ثم جمع منهم ستمائة ريال قدمت لزوجها لمشتري أدوات للبيت بدلا من التى احترقت وتذكاراً لحب اخوانه له ولقرينته :

(هكذا هكذا والا فلألا • ليس كل الرجال يدعى رجالا)

(وقال فى القصة الثالثة) تحت عنوان « المشاركة فى الحياة »

ماصورته : من أغرب ما رواه التاريخ ومن أعظم الحوادث تأثيراً الخبر

الآن قانه يدل على أن أخا ضحى حياته لمساعدة أخيه ويشهد لأطباء
الاميركان بطول الباع والمهارة في صناعة الطب . مرض أستاذ محفل في
« أوهايو » بسم الدم وكان محترماً محبوباً في تلك الولاية وكان كريم الخلق
سمح اليد يساعد المحتاجين ولما أشرف على الخطر تواردت الارامل
والايتام على منزله يسألون عن صحته ويقدمون ابتهالاً لهم الى الله
ليشفيه وينذرون نذوراً قدر طاقتهم اذا شفى وعقد عدد من نطس
الأطباء جلسة وقرر أحدهم أن لا أمل بنجاة الأستاذ الا بأمر واحد
— وهو أمل ضعيف جداً — والواسطة هي أنه لما كان دم المريض
قد سمأ أكثره واستحال الى دم فاسد فلا بد من تفريغه من عروقه
واملائها بدم نقي من جسم صحيح . ثم قال الطبيب : ان في العمل خطراً
جسدياً جداً ولكن الطريقة الوحيدة الممكن عملها . ولا شك أنه يصعب
جداً — ان لم نقل يستحيل — وجود من يسمح بحجز عظيم من دمه
لمثل هذه الغاية . وفي مساء اليوم عينه عقد المحفل جلسة خصوصية
فنهض الرئيس فيها وأبان حالة أخيه المريض والواسطة التي ارتآها
الطبيب وطلب منهم أن يتضرعوا الى الله أن يمن عليه بالشفاء . وكان
أحد أصحابهم وأخوانهم حاضراً — وهو في مقتبل العمر — قوى
البنية مورد الخدود صحيح الجسم في أشده فوقف في الوسط وقال :
أيها الاخوان انني أجود بما يلزم من دمي عن طيبة خاطر لانقاذ هذا
الأستاذ فأحرق به الحاضرون وأخذوا يثنون على شهامته وشجاعته .

ورأوا في قوة جسمه وريعان صباه ما يؤيد قوله ثم اجتمعت لجنة الاطباء لفحص هذا البطل فوجدوه صحيح الجسم نقى الدم وحكموا أنه أهل للقيام بذلك وعليه أخذ الاطباء في اليوم التالي في اجرا العملية بحضور جميع اخوان المريض فبدأ الاطباء باخراج الدم من جسم المريض في دقة وانتباه حتى أخرجوا منه القدر اللازم ثم فتحوا عرقاً في ذراع ذلك البطل ووصلوا منه أنبوباً الى جسم المريض ، فجعل الدم يتدفق من جسم الصحيح الى جسم المريض فيكسبه لونا جميلاً وينعشه . وما زال البطل يجود بدمه لأحياء أخيه وهو محاط بأخوانه الذين يدحون شجاعته ويثنون عليه الى أن اعتراه دوار شديد ، فنظر اليهم نظرة الوداع وأشار اليهم بعينه يريد الكلام فلم يقو عليه ، ثم أغض وغشى عليه وكان الاطباء ينتظرون ذلك فاقفوا جريان الدم وانقسموا قسمين قسم اعنى بالمريض وقسم بالبطل : أما الاستاذ المريض فتحسنت حالته حالاً ، وأخذ يتقدم الى الصحة بسرعة الى أن شفى تماماً وعاد الى حالته الاولى أما البطل فتأخرت صحته كثيراً وأشرف على الموت وكان يقول لزمائره لست متأملاً ولا متكبراً ، بل أنا مسرور لقيامى بهذا العمل ، والشكر لله ان دمي أفاد أخي فأحياه : وبعد ان بذل الاطباء كل همه في مداواته أخذ يتعافى وبدأت صحته بالتحسين وبعد ثلاثة أشهر من تاريخ تلك الحادثة المؤثرة قام من سريره وزار اخوانه ، ولما سئل عن السبب في اقدامه على هذا العمل قال : لو مات الاستاذ لخسر المحفل أما اذا مت أنا فلا تكون

الحسارة المذكورة ثم انهالت عليه الاكرامات والهدايا الثمينة انتهى
(أقول) : هذه القصص الثلاثة وان تكن غريبة في بابها جديرة بالاعتبار
والتأمي بها فلقد دون التاريخ ما هو أعظم منها (فقد حكى الغزالي عليه
الرحمة والرضوان) في باب حقوق الاخوة والصحبة — من « الاحياء »
ان أعلى مراتب المواساة أن تؤثر أخاك على نفسك وتقدم حاجته على
حاجتك قال : وهذه منتهى رتبة المتحابين ومنتهى هذه الرتبة الايثار
بالنفس أيضاً كما روى انه سعى بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفاء فأمر
بضرب رقابهم : وفيهم ابو الحسين النوري فبادر الى السيف ليكون هو
أول مقتول : فقيل له في ذلك فقال أحببت ان أؤثر إخواني بالحياة في
هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة : (وحكى
عليه الرحمة) — في باب الايثار — عن حذيفة قال : انطلقت يوم اليرموك
من أيام فتوح الشام — اطلب ابن عم لي ومعى شيء من ماء لاسقيه ان
كان به رمق وامسح وجهه : فلقيته فلما أهويت لاسقيه سمع قائلاً يقول
آه : فأشار ابن عمي أن انطلق بالماء اليه فبحثته فسمع متأوهاً آخر فأشار
الى أن انطلق اليه فبحثته فاذا هو مات : فرجعت اليه فاذا هو مات أيضاً
فعدت الى ابن عمي فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين *

وفي تاريخ « شذرات الذهب » — في ترجمة الشيخ مبارك بن عبد الله
الحلبشى الدمشقي أحد الشيوخ الصوفية المتوفى سنة (٩٤٣) انه حج ومعه
مريدوه فلما دخلوا مكة فرغت نفقتهم فقال لبعض اصحابه خذ بيدي

الى السوق واقبض ثمنى واصرفه على بقية الجماعة ففعل ذلك واشتره
بعض تجار العجم ثم اعتقه اه

ثم رأيت قصة أخرى تشابه ماتقدم (١) وهي ان امرأة مرضت
واشتد بها الضعف حتى يئس الاطباء من شفائها أو تسعف بدم جديد
يقوم مقام ما فقدته من الدم وكان زوجها على تمام الصحة والنشاط
فأوعز الى الاطباء أن يخرجوا الدم من عروقه ويدخلوه في عروقها
لتقوى وتشفى إذ لم يكن لشفائها سبيل آخر ففحصوا دمه ووجدوه
سليماً وفحصوا قلبه فوجدوه قوياً فأجلسوه الى جانب زوجته وأوصلوا
بين عرق من عروقه وعرق من عروقها على غير رضاها فجعل دمه
يجرى من جسمه الى جسمها وللحال زال الاصفرار من وجنتيها وقوى
نبيضا بعد أن كان ضعيفاً لا يشعر به وحاول الاطباء حينئذ أن يقطعوا
الاتصال بينها وبين زوجها فمنعهم من ذلك وقال بل دعوها تأخذ من
دمي كل ما يحتاج اليه جسمها ولما قطعوا الاتصال كانت وجنتا المرأة قد
توردتا وأما زوجها فكان قد اصفر وأغمى عليه ولم يسترد قوته ونشاطه
الا بعد أيام (٢)

(١) نقلها المقتطف جزء ٤ مجلد (٣٩) صفحة (٣٩٦) تحت عنوان (الحب الصادق)
(٢) قال الراوى الحادثة صحيحة والرجل من أعضاء مجلس الاعيان الامريكى وهو
شاب في مقتبل العمر وقد ترطبب الاسن بذكر شهادته والاطناب بمحبته وتضحيته به
لاجلها ولكن كل زوجة في الدنيا تعرض نفسها مراراً كثيرة في حياتها لاجل زوجها لكى
تلد له الاولاد وكل زوج يسفك دمه مراراً كثيرة لاجل اولادهما يسهران

(٥) ﴿ أدب المشي ﴾

يلزم أن يكون المشى هونا معتدلا لا سريعا ولا بطيئا وأن يجتنب الماشي الخفة في التلفت وأن يكون ناصبا للقامة لا منحنيا ولا محدودبا ولا مشبكا يديه وراء ظهره اثلا تصلب أعصاب ظهره على التقوس والانحناء . وعليه أن يكون مؤثرا لبنى الطريق أو يسراها ليبعد عن مصادمة العجلات ونحوها موجهها النظر الى الامام لا الى النوافذ ولا محذقا براكي العجلات وبالمارين مساعدا لضعيف أو عاجز أو ما يحمل على دابة متباعدا عن مواقف التخاصم منتقيا الطرق النظيفة غير مزاحم ولا ملتصق بالحيطان ولا بأحد محترسا في الزحام على الجيب من يدخن خلس متأخرا عن جليل يماشيه سائرا عن يساره .

(٦) ﴿ أدب الزيارة والزائر ﴾

الزيارة هي الوسطة الوحيدة لدوام رابطة الاخوة والصحبة إلا أن كثرتها ربما كانت مجلبة للاملل وقتلتها مدعاة الإباحاش وضعف المودة ويجب أن تكون في غير وقت النوم وتحسن في غير وقت الاكل * وأن يكون بملابس نظيفة وهيأة حسنة وأن يطرق الباب بلطف الى ثلاث

الليالى ويتجشمان الشاق ويحرمان أنفسهما كل راحة وكل مسرة لاجل أولادهما يشتغلان ويكتسبان ليطعماهم ويربياهن ويعلماهم ويتركاهن ما يستعينون به على شؤونهم ما فعله ذلك الزوج هو ما يفعله كل زوج وكل زوجة كل يوم لا باخراج رطل من الدم بل يذل دم القلب وعرق الجبين وقوى العقل لاجل حفظ النسل بفرض الله الوالدين كل خير

وله بعدها الانصراف * ومن لم يجد المزور فليترك اسمه مع الخادم أو على بطاقة * ومن وجد الباب مفتوحاً فلا يدخل الا بعد أن يستأذن له الخادم أو يرسل معه بطاقته ولا يفاجيء المزور مفاجأة فان ذلك يؤلم من فوجيء في بدء رؤيته ومن شعر أن لمزوره شغلاً أو تهيأ حاجة فليبادر بالانصراف ولو رغب اليه بالمكث، ومن وجده يناجي أحداً في حديث فليعتزلها جانباً ويتشغل انتظاراً فراغهما وإذا وجده في كتابة أو قراءة فلا يتطلع اليها ويسأله عنها ولا يدل عليه بتفتيش أوراقه وخزائنه ولا يتناجى مع غيره بحضرة المزور ولا يطيل مدة المقابلة ولا ينصرف إلا باستئذان وإذا وعد أحداً بزيارته فلا يخلف وعده معه . وليكن حضوره في الوقت المعين . وإن طرأ عذر فيجب اخباره قبل الميعاد *

ومن اللطائف ما كتبه حكيم على باب داره « ينبغي للزائر أن يشترك مع أهل البيت في أعمالهم »

(٧) ﴿ أدب المزور ﴾

يلزم المزور أن يستقبل زائره ببشاشة وطلاقة وجه وأن يصافحه ويرحب به ويظهر السرور بزيارته ويشكره على تفضله وأن لا يتقدم على زائره في مجلس وفي تناول مشروب وأن لا يتحدث بالاراجيف ولا بما يسوؤه * وإذا بغتته نائبة أو مصيبة فليكتنمها عن زائره وليتجمل في إكمال الجلسة وأن يلتفت لزائريه بالتساوى فلا يؤثر بحديثه أحداً منهم وأن يسامره بمشربه ومايهواه وأن يستسمحه في إنهاء شغل إن كان لديه

ليتفرغ لمخاطبته وأن يمشي معه الى الباب وأن يرد له بعد أيام زيارته

(٨) ﴿ أدب الضيف ﴾

يلزمه الحضور في الوقت المهيّن له والجلوس مع من يليق به ،
وموافقة المضيف والمشى مع رغبته وأن لا يمنعه من شيء أراد احضاره
ولا يتطلع الى ناحية الحرم وجهة الباب رغبة في مجيء الطعام . ومما
يعاب على الضيف أخذ ولده الصغير وكثرة الاكل بالشره وجرف الطعام
من نواحي الوعاء وابتلاعه بصوت يسمع ونفض الاصابع واعادة بعض
ما يطعمه الى الوعاء والبهت في وجوه الآكلين وجذب اللحم بعنف
وغمس يده فيه والتطفل بتوزيعه على الآكلين ونقل الطعام من وعاء
الى غيره بخاطه معه الا لصحفة لديه ومزاحمة الجالسين والتأمر على من
يصف الصحون بالتقديم والتأخير وعلى المضيف بمضايقته في فكره
والتسكسل بالنهوض الى الطعام والتشاغل عن ينهضه اليه والتشبع لدى
الحضور تصنعا والتأفف مما يرغب فيه غيره وإطالة الحديث والماء يصب
على يديه وسؤال صاحب الدار عن داره وعمارتها ولومه على ما يراه
قصر في هندستها واخبار من لم يدع من صديق المضيف بالدعوة
واستعجاله باحضار الطعام وشكوى الجوع وأن يطلب ممن يدعو أن
يدعو صديقه وأن يدعو من يحب بغير إذن داعيه أو يتطفل بغير دعوة
وهو أقبح الخلال لما فيه من تهريض النفس للاهانة والحزى والعار وأن يحدث
بما كان من كلام ففيه خيانة من حضر والغفلة عن كون المجلس بالامانة

(٩) ﴿أدب المضيف﴾

أن يستقبل ضيفه بطلاقة وجه وسن ضحك وترحيب بالغ
واقى مبهم ومحدثهم بلذيد المحادثة وكرانب النواذر وأن لا يخبهم بما
يفزعهم وأن يكتم ما ينوبه مدة حضورهم وأن ينتظرهم قبل الميعاد
ولا يملهم بالغيبة عنهم ولا يضجرهم بتأخير الطعام وأن يخدمهم ويقوم
عليهم ويظهر لهم سعة الحال ويطيّل الحديث عند مؤاكتهم ويظهر
رغبته في الطعام أمامهم تجسيراً لهم وأن لا يمسك عن تأكيد الدعوة
بادنى اعتذار فيكون كالمنتظر لذلك أو المنافق في دعواه ولا ينام قبلهم
ولا يشكو الزمان وضيق الحال بحضورهم ويسمر معهم ولا يغضب على
خادم أمامهم ولا يعبس بوجهه ولا يفخم طعامه ولا يمدح طابخه ولا
ينوه بندره وجوده أو غلاء سعره أو الانفراد بعمله فان ذلك دناءة
وأمارة الشح وأن لا ينتهر أحداً ولا يشتبه لديهم وأن ينزعج عند
استئذانهم ويتروّع لفراقهم ويسبر معهم الى الباب ومما يتعين عليه
تجنب الاسراف فلا يسيء التصرف ويقتل نفسه حبا في المفاخرة*

(١٠) ﴿أدب المهيدي﴾

رؤية الفضل للمهيدي اليه واظهار السرور بالقبول منه اها والشكر
عند رؤية المهيدي اليه والاستقلال اها وان كثرت *

(١١) ﴿أدب المهدي اليه﴾

أظهر السرور بها وإن قلت والدعاء لصاحبها إذا غاب والبشاشة إذا حضر
والمكافأة إذا قدر والثناء عليه إذا أمكن وترك الخضوع له والتحفظ
من ذهاب الدين معه ونفي الطمع معه ثانيا *

(١٢) ﴿أدب اصطناع المعروف﴾

البداية به قبل السؤال والمبادرة به عند الوعد والتوقير له عند
العطاء والستر له بعد الأخذ وترك المنّة بعد القبول والمداومة على
اصطناعه والحذر من انقطاعه *

(١٣) ﴿أدب المعاشرة﴾

معاشر الناس ومجاالسهم يلزمه البشر والبشاشة وكنان السر وحسن
الخلق وملازمة الصديق في المقال وإسعاف الصديق في الحاجة واجتناب
الاجابة ومواصلة النصيح والإفادة والسخاء بالزيارة والعيادة وخلوص
الوداد في حائتي السراء والضراء ومشاطرة الخليل في الأفراح والأحزان
وتقليل العبث والمزاح وصون اللسان والمعاملة باللطف والانس واعتبار
الصديق كالنفس والأغضاء عن الزال وهجر النفور والملل وكظم الغيظ
والغضب وممارسة العفة والادب .

ويتعين على المجلس أن يراعى ألقاظه ويكون على حذر من عنرة
لسانه ولا سيما إذا كان جليسه ذاهية وأن لا ينظر في عطفه ولا

يكثر الالتفات ويتحفظ من تشبيك أصابعه وتحليل أسنانه وكثرة البصاق والتمطى والتجشئ وتقريب الفم من وجه المخاطب ومن العبث بشاربه ولحيته ومن التخطئ الا بمنديل ومن الازعاج بالعطاس فلا يكون له ضجة وينبغي أن يصغى الى كلام مجالسه ولا يقطع عليه كلامه ويستوعب منه القول فقد يستفيد من مجالسة الحكيم ما لا يستفيدة من كتاب ويكون مجالسه هادئاً وحديثه منتظماً مرتباً مقروناً بالثروة والتحرز وعليه أن لا يتصنع تصنع المرأة في الزينة ولا يلبح في طلب الحاجة ولا يكثر من الهزل ولا يذكر أحداً بسوء ولا يبيت الأراجيف .

(١٤) ﴿ أدب التكلم ﴾

الكلام معيار فضل المرء وأدبه لأن فضله لا يظهر إلا بمنطقه فينبغي اعتياد النطق بالحكمة بكثرة سماعها واجتناب التكلف والتعقيد وينبغي التكلم بصوت متوسط وعلى قدر اللزوم فإن من رفع صوته زيادة عن العادة وقدر الحاجة نفر السامع من سماع كلامه وأوجب كراهة الناس له فلا يحبون محادثته ومؤانسته على أن كثرة الصياح والصراخ توجب ضعف أعضاء التنفس ويحصل للإنسان بها بحة الصوت وصداع الرأس وضعف العينين كما أن زيادة خفض الصوت توجب صعوبة سماعه وتكلف المستمع زيادة الاصغاء وربما تخفى بعض ألفاظه فلا تسمع أو تشبه على السامع بغيرها فيفهم منها خلاف غرض قائله . فمن تمام الأدب والصحة أن يكون صوت الإنسان في خطابه متوسطاً معتدلاً بقدر اللزوم لا عالياً

يتعب المتكلم وبزعج السامع ولا منخفضاً جداً بضعف عن الوصول الى السامع . وينبغي أن لا يكون كلامه بسرعة شديدة فيعسر على المخاطب تميزه وضبطه وحسن فهمه ولا يكون بتأن زائد وبطء يمل السامع وبطول به الوقت بل يكون وسطاً ولا يكون كلامه بشدة وحدة مثل المغتاط والغضبان ولا برخاوة وتكسر ككلام النسوان ولا بنشدق ينقذف معه لعب أو بصاق بل يكون كلامه كلام الرجال الشجعان مع بشاشة الوجه وحلاوة اللسان فيكم من أمور صعبة متعسرة يسهلها عذوبة اللفظ وحسن البيان ولا يهش الى كافة الناس هشاشة تجسرهم عليه فيضيّق بهم ذرعا ولا يصبر على ما يحبون منه ولا ينقبض عنهم انقباضا يوحشه منهم ويمنعهم من رفدهم ولكن ايلق الاعيان بالترحيب والمفاوضة ومن قصر عنهم بحسن اللقاء والصمت وسفلهم بالرأفة وحسن المعونة . وعليه اذا كلمه أحد أن يقبل عليه وبحسن الاصغاء اليه ولا ينشغل عن كلامه ولا يقطع عليه القول حتى اذا خطر بباله شيء يجب أن يذكره — يصبر حتى يفرغ صاحبه ثم يتكلم * وعليه أن لا يذكر أحداً من رفقاته إلا باسمه مقرونا بتفخيم أو بقلبه الذي يعجبه ويحبه ولا يسمى أحداً باسم يكرهه ولا يناديه ولا يخاطبه به وعليه ان يكف اسانه عن لفظ قبيح معيب كأعضاء العورة فيكفي عنها لدى الضرورة وعليه أن يتخذ الصدق في أقواله عادة لازمة وطبيعة دائمة فان فيه السلامة والنجاح . والكذاب فاقد الثقة بين أهله ولا صديق

له ولا يقبل قوله حتى في الصدق وضرره يعود على نفسه وغيره وعليه اذا اضطر لمعارضة أحد أن يقول : لعل الشأن كذا . وعليه اذا رغب لاحد في أمر أن يسأله ما يتحمله طبعه وما تشرحه اليه نفسه . ويجب الاحتراز عن الالفاظ الحشوية التي تتخلل كلام بعض اللكن والرعن كما يجب ترك التضمنين ^(١) فانه أقبح داء وأسوأ آفة للوقار والبهاء . وفيه تجرئة السفلة على الوقاحة وهي من أخلاق الادنياء ، سرى داؤها الى غيرهم من الترخيص لهم في الجلوس معهم والانبطاط اليهم ، لاضحاكمهم ورضاهم بمعاشرتهم وما تضمنهم القبيح إلا نفثات سموم تسرب في جسم الحكمة والادب ففسده . وعلى المتكلم أن يتجنب الحلف في كلامه وان كان صادقاً توقيراً للفظ الكريم ، وتباعداً عن ايها الدخيل في كلامه لترويج مأربه . وعليه أن لا يباحث في المسائل المذهبية التي تولد الضغائن والتعصب فانها من أعظم آفات العمران وأشد عامل على التفرقة والانقسام . وعليه أن لا يكون مكشّراً من القول مستغرقاً الجلسة في طول حديثه ملجماً الغير عن المشاركة فان ذلك مضجر للجاساء ، ومن دلائل الطيش والخفة ، فمن بسط لسانه قبض اخوانه ، ودواؤه الاعراض لان حسن الاستماع قوة للمحدث

(١٥) ﴿ أدب جليس الامراء ﴾

يلزم جليسه أن يكون متأديباً حسن الاخلاق ، نقي الثوب خليب الرائحة ، ذا معرفة بالبلاغة والفصاحة ، حافظاً لصواب الشعر

(١) نوع من الكلام يستعمله أرباب المجون والخلاعة والمساخر اه
(٢ - ٥)

وملحه ومجونه ونوادره يورد الحكايات والفكاهات وضروب الامثال
في أوقاتها ، كتوماً للأسرار بعيداً من النخبة ، حسن المحضر للناس ، يأتى
في خطابهم بضمير الغائب ، ولا يستعمل ضمير الجمع في الاخبار عن نفسه
ولا يكون جهير الكلام ولا مهموسه ، مخففاً مدة الزيارة لهم ، فان في
اطالتها ضيق صدر المزور وملال الزائر وضياح الوقت عليهما . قال حكيم
إذا حضرت مجالس الامراء فاغضض عينيك ، ولا تقل في غيبهم مالا تقوله
في مشهدهم ، فان حرمة مجاستهم في غيبهم كحرمتها في مشهدهم . ولا تأمن
أن يكون لهم عين ترفع اليهم أخبارك ، وتورد عليهم أمرارك . وإذا
حدثك صاحب المجلس فاسمع اليه وأقبل بوجهك وجهك عليه ، ولا
تعرض عن كلامه وقوله . وإذا أورد عليك خبراً ، أو أنشدك شعراً أو
طارحك أمراً وأنت به عليم ولك به خبر قديم فأظهر له أنك لم تسمعه الا
منه ، ولم تأخذه الا عنه كما قيل :

(وتراه يصغى للحديث بسمعه * وبقلبه واهله أدرى به)

واجعل لدينك من دنياك نصيباً وكن على نفسك رقيباً وصير لكل
جارحة من جوارحك زمماً ومن النهى والعقل زمماً . وإذا صاحبت أميراً
فتوخ جميل الاحترام وتوق سبيل الاقتحام ولا تبدأ بالمقال ولا تبسط
بالسؤال وإذا تكلم فأقبل عليه بوجهك واصغ اليه بسمعه ووكل
بشفتيه ناظره واشغل بحديثه قلبك وخاطرك واستمع استماع
مستحسن هاش له مستبشر به متعجب منه وان كنت تحيط به علماً

وتحقه فَمَا وَلَا يدعوك فضل أنسه إليك ومداعبته إياك على ابتدائه بالمرح
والهزل ومفاتحته بما يستهجن من القول فازالة الحشمة توجب الغضب
والانكار . وأما أستاذ الامير ومعلمه فيأزمه أن يخرج تعليمه مخرج
المذاكرة والمحاضرة لا مخرج التعاليم والافادة لان لتأخير التعاليم خجلة يحل
الامير عنها فان ظهر منه خطأ أو زال في قول أو عمل عرض له باستدراك
زاله أو اصلاح خاله ولم يجاهره واذا أعطاه فضل اقبال عليه فلا يحمله
ذلك على الادلال عليه والاكثر اليه فصار ذلك ذريعة الى ملله ومفضيا
الى بعده فان الامير متقسم الاخطار مستوعب الزمان ليس له فراغ
المنقطعين الى العلم ولا صبر المنفردين به . وليحذر موافقة هواه فيما بجانب
الدين ويضاد الحق فان في ذلك غضب الحق ومقت الخلق وما أحسن
قول الرشيد الاصمعي : يا عبد الملك : أنت أعلم منا ونحن أعقل منك
لا تعلمنا في ملا ولا تسرع الى تذكيرنا في خلا واتركنا حتى نبداك
بالسؤال فاذا بلغت من الجواب حق الاستحقاق فلا تزدد الا أن يستدعى
ذلك منك وانظر الى ما هو العطف في التأديب وأنصف في التعليم «

(١٦) ﴿ أدب مجلس العامة ﴾

على الجالس في محفل أن يجلس مستقيماً غير مضطجع ضاماً ثوبه وان
لا يكثر الاشارة بيده ولا يقتاب أو يتمطى ولا ينزع عمامته ويحك
جلدة رأسه ولا يجلس فوق من هو اكبر منه مقاما وأن يجلس في موضع
لا يقام منه . هذا من جهة أدبه في نفسه معهم * وأما من جهة حديثه فقال

حكيم : اذا بليت بالعوام فأدب المجالسة معهم ترك الخوض في حديثهم
وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء الفاظهم والاحتراز
عن كثرة لقائهم والحاجة اليهم والتفنيه على منكراتهم باللفظ والنصح عند
رجاء القبول منهم .

وفي كتاب (النصائح الدينية) ينبغي للعالم أن يكون حديثه مع
العامة في حال مخالطته ومجالسته لهم — في بيان الواجبات والمحرمات
ونوافل الطاعات وذكر الثواب والعقاب على الاحسان والاساءة ويكون
كلامه معهم بعبارة قريبة واضحة يعرفونها ويفهمونها ويزيد بيانا للامور
التي يعلم انهم ملابسون لها ولا يسكت حتى يسئل عن شيء من العلم —
وهو يعلم انهم محتاجون اليه ومضطرون له فان علمه بذلك سؤال منهم
يلسان الحال والعامة قد غلب عليهم التساهل بأمر الدين علماً وعملاً فلا
ينبغي للعلماء أن يساعدهم على ذلك بالسكوت عن تعليمهم وارشادهم
فيهم الهلاك ويعظم البلاء وقلياً تختبر عامياً — واكثر الناس عامة — الا
وجدته جاهلاً بالواجبات والمحرمات وبأمر الدين التي لا يجوز ولا
يسوغ الجهل بشيء منها وان لم يوجد جاهلاً بالكل وجد جاهلاً ببعض
وان علم شيئاً من ذلك وجدت علمه به علماً مسموحاً من ألسنة الناس
لو أردت أن تقلبه له جهلاً فعلت ذلك بأيسر مؤونة لعدم الاصل والصحة
فيما يعلمه . وينبغي للعلماء — وخصوصاً منهم ولاية الاحكام — أن
يعظوا عامة المسلمين عند الاختصاص اليهم ويخوفوهم بما ورد عن الله وعن

رسوله من التشديدات والتهديدات في الدعاوي الكاذبة وشهادة الزور
والإيمان الفاجرة والمعاملات الفاسدة مثل الربا وغيره ويذكرون لهم
بعض ما ورد في الشرع من تحريم هذه الأمور وشدة العقاب فيها
وذلك لغلبة الجهل وشدة الحرص وقلة المبالاة بأمر الدين . وعلى الجملة
فيتأكد على العلماء أن يجالسوا الناس بالعلم ويحدثوهم به ويثبتوهم لهم
ويكون كلام العالم معهم في بيان الأمر الذي جاؤا إليه من أجله مثل ما
إذا جاؤا لعقد نكاح يكون كلامه معهم فيما يتعلق بحقوق النساء من
الصداق والنفقة والمعاشرة بالمعروف وما يجري هذا المجرى ومثل
ما إذا حضروا لعقد بيع يكون حديثه معهم في الشهادات وفي صحيح
اليوع وفاسدها ونحو ذلك . وهذا خير وأولى في هذه المجالس من
الخوض في فضول الكلام وما لا يتعلق له بالأمر الذي من أجله جاؤا
ولا بالدين رأساً . ولا ينبغي للعالم أن يخوض مع الخائضين ولا أن
يصرف شيئاً من أوقاته في غير إقامة الدين وهذا الذي ذكرناه من أنه
ينبغي للعالم ويتأكد عليه أن يجعل مجالسته ومخالطته مع عامة المسلمين
معمورة ومستغرقة بتعليمهم وتنبيههم وتذكيرهم قد صار في هذا الزمان
بالخصوص من أهم المهمات على أهل العلم لاستيلاء الغفلة والجهل
والاعراض عن العلم والعمل على عامة الناس فإن ساعدتهم أهل العلم على
ذلك بالسكوت عن التعليم والتذكير غلب الفساد وعم الضرر وذلك
مشاهد لا إهمال العامة أمر الدين وسكوت العلماء عن تعليمهم وتعريفهم

ولا حول ولا قوة إلا بالله انتهى وتتمة ذلك (في أدب النصيحة)
فاستمع لما نتلوه :

(١٧) ﴿ أدب النصيحة ﴾

من أهم الواجبات بذل النصيحة العامة لنوع الانسان كافة وهي
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين نوهت الشرائع بعلم شأنهما
وجعلتهما من أهم الوسائل النافعة في تقويم أود الامة وتشديد دعائم
حياتها الاجتماعية. غير أن النصيحة لا تجدى إلا باستيفائها شروطها من
الصدق والاخلاص واللين في القول والمحبة والتجرد عن شوائب
الحشونة والبذاءة في اللسان بالسباب والشتم مما تنفر منه الطباع السليمة
وعلى المنصوح له أن يكون ممن روض نفسه على الانصياع والقبول
لكلمة الحق من غير مشاحة ولا تعصب فتوجد إذ ذاك القابلية التامة
لما بعد ذلك من التخلق بالاخلاق الحميدة والتحلى بحلى الآداب الحقة
والا فمادام العناد في قبول كلمة الحق مستولياً على القلب بمجنود التعصب
الاعمى فمن المحال أن يرجى لدائه شفاء ولا ندمال جرحه دواء ومهما
بلغت الانفس من الكمال شأواً كبيراً وحصلت من السعادة على درجة
عظيمة فهي في حاجة الى النصيح والارشاد وما ألفت ما قال بعض
الاخيار في هذا الموضوع : الدعوة الى الهدى بنور الله ورسوله من
أهم المشروعات وأكبر الوظائف الدينية، وتعليم الدين وبث أصوله في

نفوس أهله فريضة لا يصح تركها والتفاس في ادائها بوجه من الوجوه ولا مجال للنزاع في أن أحكم الوسائل وأقوم السبل لتربية الشعوب وترقية الأمم هو قيام كبار الاختيار وقادة الافكار بدعوتها للبحث في أسرار الشرائع وفي مذاهب الحياة والنظر في طبائع الكون ونواميس العمران وأنه ينبغي على من يأنس من نفسه القدرة على أداء هذا الواجب الملى وبث روح اليقظة بين أفراد تلك الأمة أن يسعى لخير قومه سالكاً سبيل الجراءة والاقدام والثبات فلا يسأم من تكرار الدعوة وموالاته الارشاد الى ما يتوسم البلوغ بسببه الى الغاية المبتغاة من سبل التقدم ومناهج الترقى فقد قالوا « ان مقاليد القلوب بأيدي الخطباء وأزمة النفوس بأيدي الكتاب » وقال الصاحب بن عباد: « اذا تكرر الكلام على السمع تقرر في القلب » وناهيك بالخطابة والكتابة اللتين يعدان من أهم دعائم العمران التي قام عليها بناء المجتمع الانساني فانك لا تجد جمعية تألفت أو دولة قامت أو ديناً انتشر أو شرعاً تقرر الا على احدى هاتين الدعامتين أو عليهما معاً فهو الآلة المؤثرة في النفوس للاقتناع بالغرض الذي تحاول جذبها اليه بمؤثرات الترغيب والترهيب والزجر والحض والوعد والوعيد ونحو ذلك . وهكذا كان حال السلف من أئمتنا ومرشدينا ممن أوتوا سحر البيان وفصل الخطاب وبذلك جاء قوله تعالى « واتمكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

(١٨) (أدب المناظرة)

ذكر حجة الاسلام الغزالي في الباب الرابع من احياائه أن الذين يزعمون بأن غرضهم من المناظرات المباحثة عن الحق - لان الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر - ما هو الا تلبيس : قال : يطلعك على هذا التلبيس ماذا كروه - وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان (الاول) أن لا يشتغل به - وهو من فروض الكفايات - من لم يتفرغ من فروض الاعيان (الثاني) أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فان رأى ما هو أهم منها عصي بفعله (الثالث) أن يكون المناظر مجتهداً يفتى برأيه كما كان يفعل الصحابة رضی الله عنهم فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وإنما يفتي ناقلاً عن مذهب صاحبه بحيث لا يتركه ولو ظهر له ضعفه فأى فائدة له في المناظرة (الرابع) أن لا يناظر الا في مسألة واقعة أو قرينة الوقوع غالباً (الخامس) أن تكون المناظرة في الخلوة أحب اليه وأهم من المحافل خوفاً من تحريك دواعي الرياء (السادس) أن يكون في طلب الحق كمناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ويشكره اذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق - كما لو أخذ طريقاً في طلب ضالته فينبهه صاحبه على دابته في طريق آخر كان يشكره ولا يذمه وكان يكرمه ويفرح به

فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم حتى ان امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونهته على الحق في خطبته على ملا من الناس فقال « أصابت امرأة وأخطأ رجل » ورد رجل على علي رضى الله عنه فقال « أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم » . (السابع) أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دلائل الى دلائل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف (الثامن) أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم — هذا ملخص ما ذكره الغزالي عليه الرحمة وقد أطل فأطاب وجود الامثلة في ذلك فليراجع . ومن كلامه عليه الرحمة : فانظر الى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم اذا انضح له الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاهدته بأقصى قدرته وكيف يذم من أخفه طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة رضى الله عنهم في تعارضهم على النظر في الحق * و ذكر أيضاً عليه الرحمة من آفات المناظرة الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على الممارسة فيه حتى تصير الممارسة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاماً الا وينبعث من طبعه داعية الاعراض عنه حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور * وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذباً وبين من كذب بالحق فقال تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه »

وقال أيضا عليه الرحمة — في فيصل التفرقة : فان تخطيط في جواب هذا يعني ما قدمه من كلامه — أو عجز عن كشف الغطاء فيه فاعلم أنه ليس من أهل النظر وإنما هو مقلد وشرط المقلد أن يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان أهلا له كان مستتبعا لاتباعا وإماما لا مأموما فان خاض المقلد في المحاجة فذلك منه فضول والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد وطالب لصلاح الفاسد الخ

وقال الامام تقي الدين عليه الرحمة ^(١) ان المبتدع الذي بني مذهبه على أصل فاسد متى ذكرت له الحق الذي عنده ابتداء أخذ يعارضك فيه لما قام في نفسه من الشبهة فينبغي اذا كان المناظر مدعيا ان الحق معه أن يبدأ بهدم ما عنده فاذا انكسر وطلب الحق فاعطه إياه وإلا فإدام معتقداً نقيض الحق لم يدخل الحق الى قلبه كاللوح الذي كتب فيه كلام باطل امحه أولاً ثم اكتب فيه الحق انتهى *

ولقد ذكر ان ذلك كان قاعدة الامام احمد بن حنبل رحمه الله — في مناظرة المبتدعين *

الباب الخامس في القوانين الصحية وتوابعها

(١) أدب حفظ الصحة ﴿

صحة الجسم من أعظم النعم التي يتمتع بها المرء في هذه الحياة

(١) (جواب أهل الايمان في تفاضل القرآن)

فيجب عليه أن يراعيها بما يحفظها ويباعدها من ضعفها وانحلالها مراعاة أكيدة فلا يسمح له التقصير فيها بوجه ما ومن ذا الذي يحصى فوائد العافية وهي التي بها قوام الانسان ووجوده ومن ذا الذي لا يرغب في النجاة من الامراض العائقة عن كل عمل ديني ودنيوي . والعقل أكبر مرشد إلى أن من يعتني بجودة طعامه وشرابه ونظافة جسده ولباسه ومسكنه وانتقاء الهواء واجتناب ما ينهك القوى أقرب إلى الصحة والعافية ممن يهمل ذلك . نعم يندر وجود من ينال تمام الصحة من جميع الوجوه ولا يدركه المرض ولكن هذا لا يمنع من الاهتمام بالوسائل المقررة لحفظ الصحة وترقيتها إلى أعلى ما تصل اليه يد الامكان .

وأخص أسباب المرض ما ينشأ عن فساد الهواء الذي يستنشق والماء الذي يشرب والطعام الذي يؤكل واللباس والمسكن التي تكون جراثيم الامراض في أقدارها * وسنتكلم على آداب كل منها قريبا . وقد بحث الاطباء في هذه السنين الحديثة في سبب الامراض التي يمكن منعها وعرفوا انه عائد إلى أجسام حية دقيقة لا تشاهد الا بالمكروسكوب (النظارة المكبرة) تدخل الجسد وتتكاثر فيه — في أقرب وقت — تكاثرا لا يحصى وإذا انحصرت في مكان واحد كالخلق تكون منها سموم يمتصها الدم ويحملها في دورته إلى جميع الجسد فيحدث من ذلك حمى واضطراب عام قد يؤدي إلى الموت ثم اشتغلوا بدراسة صفات هذه الاجسام على انواعها وما يتعلق بحياتها وكيفية تولدها ونموها وموتها وأخرجوها من الجسد

وربوها وعالجوها بطرق مختلفة ليعرفوا ما الذي يقتلها والسبيل إلى إدخال قوتاتها في الجسد بلا ضرر في الحياة . وكثير منهم متفرغ لهذا الدرس الجليل وهم على أمل النجاح الكبير . وقد ثبت لديهم ان هذه الجراثيم أو الاعداء تنتشر من المصابين بها في الهواء وربما خالطت الطعام والماء فيكون الاصحاء عرضة لها على الدوام . وتحقق أيضا انها تدخل أجسادهم ولكنها لا تسبب المرض الا في بعضهم واتضح لهم من درس أجهزة الجسد (بالمكروسكوب) ان في الدم خلايا تسمى بكريات الدم البيضاء تجرى فيه فاذا دخلت الجراثيم المرضية الجسد افترستها الاجسام المذكورة وأهلكتها فيسلم الانسان من غائلتها — هذا إذا كانت الخلايا صحيحة قوية كافية لمقاومة العدو . واما اذا ضعفت مع ضعف الجسد — بسبب فساد الهواء من ازدحام السكان أو الغازات المنبعثة من الكنف والمراحض والبلايع والاسراب والافراط بالشهوات أو التعب المفرط أو نقص الطعام أو رداءته أو الخوف أو الغم — تغلبت عليها الجراثيم المرضية وأهلكتها وفنكت بالجسد وأثارت المرض ، فاذا دخلت هذه فجراثيم الجسد حدث فيه قتال عنيف بينها وبين جيش الخلايا المذكورة الدور الدائرة على الفريق الضعيف منها وهو شبيه بقول القدماء : « ان الطبيعة والمرض خصمان يتقاتلان والغلبة للقوي منهما » ومن الامراض ما له سبب غير الجراثيم المرضية والتفصيل في كتب الطب فسبحان من علم الانسان ما لم يعلم .

(٢) ﴿ أدب المسكن وتنقية الهواء ﴾

ينبغي ان يكون المسكن بعيداً عن المياه الراكدة وعن مطارح القاذورات والبالوعات والمعامل التي ينشأ عنها فساد الهواء وان يكون مضيئاً متجهاً لنور الشمس، ولذا كان من يقطن في غرف مظلمة أضعف وأكثر مضرّة ممن يسكن في غرف مضيئة تستقبلها الشمس ويلزم لكل إنسان مقدار عشرة أمتار مكعبة من الهواء ولا سيما اذا كان قبواً * وينبغي إبعاد الاشياء المتخمرة أو المتعفنة عن المساكن ودوام تنظيفها ومراعاة تجديد الهواء بفتح النوافذ مراراً . ويحذر من اغلاق النوافذ على الناس المزدحمين في محل واحد كالشقاء إذ يمتنع تجديد الهواء فيها فيفسد بانفاس الجالسين فينشأ عنه أخطار شتى . ويحذر أيضاً من استنشاق هواء الشمعة ساعة طفئها فله سرعة ضرر لما ينشأ عنه من الاختناق * ويجب الاحتراس أيضاً من الفحم الغير التام الاحتراق لعظم ضرره . قال بعض الحكماء : من دواعي الصحة الاعتیاد من زمن الطفولة على النوم والشبابيك مفتوحة في جهة نظيفة من غير تعرض لمجرى الهواء وذلك لا قوياء البنية السالمين من الامراض . وان أكثر الامراض المنقشرة في البيوت من عدم الاعتناء بتجديد الهواء وان الاعتناء بصفاء الهواء يجب بقدر الاعتناء بنظافة المأكولات والمشروبات وان جرائم الامراض تنقطع من الاماكن التي يدخلها الضياء والهواء الصافي كما تكثر في الاماكن المحرومة منهما . وقال حكيم : ليعلم أن نقاء الهواء معناه خلوه من مواد

سامة تخالطه وأخص هذه المواد السامة ثلاث (الأولى) أبخرة منبعثة من الجسد (والثانية) أبخرة منبعثة من الاقدار (والثالثة) أبخرة من المستنقعات . أما المواد المنبعثة من الجسد فهي : ما يخرج منه بواسطة البخار الرئوى والجلدى . والأبخرة المذكورة رائحة خصوصية تنتشر بها الاثواب والامسرة والفرش وتلتصق بالجدران وقد تدوم زمنا طويلا وهى السبب العظيم الناشئ من ازدحام المجتمعين اذ لم يتجدد فيها الهواء فلا يخرج الانسان منها إلا ويشعر بتعب أو صداع أو ثقل في الرأس لا يزول إلا بعد التعرض للهواء المطابق برهة وشاهد كثير من الاطباء موتى اغتالتهم يد المنون من ازدحام شديد في أماكن محصورة ولهم احصاءات في ذلك شتى . فيتضح مما تقدم أن تبديل الهواء في المساكن من الامور الضرورية لحفظ الصحة ومنع المرض وأن نوم كثيرين في غرفة واحدة مغلقة النوافذ من العادات المضرة فاذا لم يمكن تقليـل عدد النيام ترك بعض النوافذ مفتوحاً لاجل ابدال ما فسد من الهواء بالمتقي منه . وكذلك الازدحام في المساجد والمدارس يوجب تطهير الهواء فيها بواسطة فتح النوافذ المتقابلة . وأما خوف العامة من دخول الهواء البارد إلى البيوت فوهم — لانه إذا كان نقيا فهو ضرورى للصحة ولو مدة النوم بشرط أن يبعد الفراش عن مجرى الهواء البارد وربما كان أقل ضرراً من تنفس الهواء الفاسد وكذا يقال في اجتناب ما فسد من هواء الاقدار والمستنقعات فان أضرار استنشاقه جمة والتفصيل في كتب تقويم الصحة *

(٣) { أدب النوم }

يجتنب النوم في محل غير مسقوف لانه يكون عرضة للتغيرات الجوية ولا يغطي الرأس غطاء ثقيلاً ولا يشد برباط أصلاً ولا يكون الفراش يابساً ولا ليناً آخذاً في الارتفاع بالتدريج الى جهة الرأس ولا ينام على بطنه لاعاقته حركة الاعضاء البطنية والظهرية ولا على الظهر وأن تكون الاعضاء ، مثنية نصف انثناء لانه يسهل مرور الدم في الاوعية وراحة الاعضاء وأن يكون غطاء الرأس خفيفاً والاقدام ساخنة والهضم تاماً والفكر ساكناً فان كثرة التفكير وإجهاد البال عند التأهب للنوم من أهم أسباب الارق وأن يبعد عن مكان اللفظ وعن الضوء الضعيف من زيت الكاز لانه يؤدي الى ضيق النفس واختناق الصدر برديء رائحته التي تفسد الهواء وأن يخرج باقة الزهور ليلاً من المكان لانها تفقد الهواء أوصافه الجيدة ولا بأس بالقيولة في النهار الطويل أو طاب الجسم لها مطلقاً ، ومدة النوم من ست ساعات الى ثمان والزيادة عليها تورث العقل خموذاً *

أما أسباب الارق فقد تكون أدبية مثل الاهتمام بالاشغال والقلق للمستقبل والتعب العقلي وتعب الوجدان والحزن وتبكيك القلب وقد ينشأ الارق من أمراض طبيعية صرفة وفي الغالب ان المرء يحرم النوم بتساهله لانه لا يحسن الاضطجاع على فراشه ولا يتخذ الاسباب اللازمة

فإن أردت أن تنام فعليك أن تتخذ غرفة بعيدة عن الضجة خالية من الانوار الصناعية والحيوانات والزهور والاثاث والبسط وأن تكون معرضة كل التعرض للتهوية حتى في الشتاء وأن يكون الفراش منحنيًا قليلا من الرأس الى الاقدام بحيث ترتاح فيه الاعضاء جيداً وأن يتخذ الفراش من الصوف وتكون المحدة لارخوة ولا يابسة وأن يختار من الغطاء الخفيف ومن الوسائد القليلة التضاعيف والنعومة وعليك أن تنام بعد الاكل بساعتين أو ثلاث فالاولى أن لاتغنى الجفون إلا بعد أن يتم الهضم . وينصح بعض كبار الحكماء للمشتغلين بالاشغال العقلية أن يناموا بعد الاكل . ومن رأيه ان الواجب ترك الدماغ يستريح خلال الهضم وينبغي أن لاتترك في خلال أيام القيقظ ويفضل النوم منفرداً وعلى النائم أن يختار وسط الفراش لينام هنيئاً وترتاح أعصابه وتنبسط وأن لاينهض وذراعه فوق رأسه كما يفعل بعض النساء تدلّ لان ذلك مما يخالف نوااميس (الفسىولوجيا) فاذا صدر النائم صفحة وجهه كثيراً فإنه يتعب أعصاب ذراعيه وأعصاب صدره وينقبض عنقه ويهز نفسه فلا يمتد طويلا وعليه فالواجب أن يكون الرأس واطئا ما أمكن حتى يتسرب الدم الى الدماغ على صورة منتظمة وان يتمدد الجسم كل التمدد وان لاينتثني الساقان ولا يشبك احدهما مع الآخر وان لاترفع الركبتان ولا ينفع النوم مستلقياً على الظهر . ويؤكد بعض الاطباء ان هذا الضرب من النوم ينشأ عنه مرض النخاع الشوكي وربما كانوا مباغين في تصورهم

على أن النوم بالاستلقاء يحدث أرقاً مضنياً أو كابوساً أو أضغاث أحلام والنوم على الشق الايسر أصعب حالا من الاستلقاء أيضاً لانه يوقف الهضم ويؤدي الى ضيق النفس والاختناق ، والى حدوث حركات في القلب تضغط عليه وتؤذيه . وعلى النائم أن لا ينام وبطنه منبسط ، فالأفضل أن ينام المرء على جانبه الايمن لما في ذلك من النفع للحواس وعلى هذه الطريقة ينبغي لنا تعويد أولادنا ، وأن تقتصر نحن أيضاً أن ننام مثلهم *

واذا حدث لنا قلق فالواجب علينا أن نعود الى الطرق البسيطة لجلب الكرى الى العيون ، وذلك بالمشي والاستحمام وشرب الحليب الحار ، ولا ينبغي أخذ شيء من العقاقير والمخدرات لانها ضارة وتأثيرها موقت لا يلبث أن يزول . هذا وعلى كل انسان أن لا يغفل أمر النوم فقد قال حكيم : ان في النوم اصحيجي الجسم قوة وفرحاً . والمريض شفاء وهناء *

(٤) ﴿ أدب اللباس ﴾

ينبغي أن يكون غطاء الرأس خفيفاً ، والاقمصاة والسراويل من كتان أو قطن بيضاء غير مصبوغة ، وأن تغير وتغسل كثيراً ، ولا ينبغي مكثها على بدن الفقير أكثر من أسبوع . وبغيرها الغنى كل يوم أو ثلاثة أيام في الاسبوع *

ولا يلبس الصوف مباشراً لبدنه الا في بعض الامراض والاشخاص الضعاف . ويلبس مدة الزمان البارد كالشتاء . ويغير كثيراً لانه سريع الاكتساب للعفونة . ولا يلبس الواسع الذي لا يحيط بالجسم ولا يقي من البرد ، ولا الضيق المعيق لحركة الدم والجسم . ولا تشد أربطة الاطراف ولا الحزام . لانه يعيق دورة الدم . ويسبب الفتاق . ولا يضغط عضلات العنق والحنجرة بقبة عالية أو تزرير ضيق لئلا يضعف الصوت ويوقف الدورة أيضاً . ويلزم أن يكون ما يلبس في القدمين مدفئاً ، لا واسعاً — لانه لا يضغط على الاقدام وينخلع في حال المشي ويتعب الماشي ، ولا ضيقاً لانه يعيق الدورة ويحدث قروحاً أو يبيوسات مؤلمة . ولبس الجورب مفيد لانه يصون القدم من البرد فيلزم أن تكون في الصيف من قطن أو كتان وفي الشتاء من صوف . ويلزم تهوية ثياب النوم كفراشه يومياً *

(٥) ﴿ أدب نظافة الجسم والاستحمام ﴾

الوساخة مدمومة مضرّة بالصحة تولد القمل وتسبب الامراض الجلدية كالجرب والجزام والقرع . دع عنك ما نسبته من الروائح الكريهة والمنظر القبيح المرء واجتناب قربه واستقذار مخالطته فيلزم أن يتعهد الجسم بالغسل والاستحمام * أما غسل الاطراف ففي كل يوم مراراً وأما الاستحمام فمرتين في الاسبوع صيفاً ومرة فيه شتاء ويكون بالصابون

واللايف لازالة الوسخ المتراكم من عرق البدن ولتبقى مسام الجلد مفتوحة
تفرز المواد المذابة في العرق والاشخاص المعرضون للغبار يلزم اعتناؤهم
بالاغتسال أكثر من غيرهم ولا يستحم وجسده معي من تعب عقلي أو
جسدي أو عقب الطعام *

(٦) ﴿أدب الطعام﴾

المطاعم تراد للصحة لا للذة لأنها خلقت لتصح بها أبداننا وتصير مادة
لحياتنا فهي تجري مجرى الادوية يداوى بها الجوع والام الحادث منه
فينبغي أن يأخذ المتأدب بما يذكر :

لا يتناول الطعام الا اذا صدق الجوع . لا يفيه الشهوة بوسائط .
لا يتأخر عن تناوله اذا طلبته النفس * لا ينتظر زيادة التوق اليه لانه قد
يفضى به الى الشره * لا يجعل هجيره مدح الطعام الذي يستعظمه أهل
الشره . يقبح عنده صورة من شره اليه ونال منه فوق حاجته . لا يبادر اليه
اذا جلس مع غيره . لا يديم النظر الى ألوانه ولا يحرق بها . لا يسرع في
الاكل * لا يوالى بين اللقم * لا يعظم اللقمة ولا يتلهمها حتى يجيد مضغها
لا يباطخ يده ولا ثوبه ولا يلحظ من يؤاكله * لا يتبع بنظره مواقع
يده من الطعام . يعود نفسه على أن يؤثر غيره بافضل ما يليه . يضبط
شهوته حتى يقتصر على أدنى الطعام وأدونه . يأكل الخبز بلا ادام أحيانا .
يحترز من تناول الشديد البرودة والسخونة فان له اضرارا جمة منها

تسويس الاسنان ولذا يلزم تنظيف الاسنان بعد الاكل بمسواك أو فرشاة
وماء لازالة آثار الطعام المتحللة * لا يأكل طعاما قبل هضم الاول .
والزمن اللازم للهضم خمس ساعات الى ست ومع ذلك فلا تشغل المعدة
بالاكل بمجرد مضي ذلك بل يجب أن يكون بين الاكلتين ست ساعات
أو سبع مع وجود الشبهة الصادقة والا فيلزم الامتناع حتى توجد .
ويجتنب الاكل ليلا لان فيه مبتدأ النوم مع اشتغال المعدة للهضم
فيجتمع فعلا في الجسم يشوش أحدهما على الآخر فينشأ عنه سوء
الهضم والتعب في النوم * وينبغي أن يكون مقدار الغذاء قليلا لاسيما لمن
كانت أشغاله عقلية لئلا يثقل الجسم ويغالبه النعاس فيختلط فكره ولا
يتمكن من اتمام عمله ويكون العشاء أكثر قليلا لان الاعمال النهارية تمت
وجاءت برودة الليل فيسهل الهضم *

(٧) كيفية الاكل ومدته

ينبغي الآكل أن يغسل يديه قبل الطعام وبعده غسلا جيدا وإن
كان بصابون فهو أولى وأن يجلس على المائدة مستويا باحتشام لا متكئا
ولا منحنيا بصدرة ولا باسطة يديه على الخوان * وأن يضع الخبز على
شماله والمعلقة والشوكة والسكين عن يمينه * وأن لا يمس يده سوى
الاشياء الجافة كالخبز والثمار * وأن لا يشم رائحة الطعام قبل أكله وأن
لا يضع في صفحته أكثر مما يأكله وأن يجرى ما يضعه أجزاء صفاراً

ولا يأكله لقما كباراً . ويأكل يمينه الا لضرورة ويجتنب الاسراع المفرط والبطء كذلك وتكون مدته عشرين دقيقة الى ثلاثين فان طالت فلا تزيد على ساعة * ويجتنب الاكل وقت الغضب والانفعالات النفسانية لخطر أعراضه حالته ولا بد وقت الاكل من راحة المفكرة ليحصل الهضم فلا يخوض في العويصات ولا في الامور المحزنة ولا يتذكرها وليحذر نفخ الطعام الحار ويجب المضغ جيداً وسحق الجامد بالاضراس قبل الابتلاع وان يمضغ بتمهل لا بسرعة وألا يستعان على المضغ بسائل كالشاي والقهوة والماء لان الغدد اللعابية تفرز سائلا كافيا لتبليل الطعام الجاف . وافراط الشرب وقت الاكل مضر جداً وينبغي الاحتراس من المبادرة الى الاكل عقب شغل عقلي أو بدني لانه ينتج مرضاً في أعضاء الهضم ولا يسوغ تناول طعام غليظ أو كثير في أثناء السير على عجلة أو دابة بل يكون لطيفاً وقليلاً * ومن فرغ من الاكل في دعوة فليقلل الجلوس من غير حاجة ولا يستأذن في الانصراف ويجتنب القران في تمر ونحوه لما فيه من الشره والخطر على المبلغ وليحذر من نفض اليد في الاناء وتقديمه الى الاناء عند اللقم ومن غمس اللقمة اللسمة في خل أو نحوه ومن غمس اللقمة التي أكل منها في المرققة ومن عض طرفها ثم وضعها في المظوم ويحول وجهه عند السعال والعطاس ويخال أسنانه بعد الطعام لافي أثنائه ولا ينقل الضيف ما لديه الى غيره ولا يخطط طعاماً في غيره الا في وعاء لديه ولا يتصنع بالانقباض فيوحش

الحاضرين ومن لم يستطب طعاماً فلا يظهر اشمئزازاً اثلاً بأنف غيره منه
ويتكلف الانسباط بالحديث الطيب والموعظة الحسنة ولا يرفع من حضر
مع جماعة يده عن الطعام قبلهم حتى يكتبوا الا أن يعلم منهم شرها ولا
يمدح طعامه وتقويمه لانه دناءة ولا بأس أن يأكل ما يكسر همته قبل
ذهابه للدعوة * وأنسب أوقات الغذاء قبل الزوال بساعة أو ساعتين
والعشاء قبل غروب الشمس بساعة *

(٨) ﴿ أدب الشرب ﴾

من المعلوم ان الماء ضرورى للحياة فان الانسان لا يعيش بلا ماء
إلا ثلاثة أيام كما لا يعيش بدون الطعام إلا ثلاثة أسابيع وبلا هواء إلا
ثلاث دقائق *

وقد ثبت في العلم الطبيعى أن مصادر المياه من البخار الذى يصعد
من سطح البحر ويتكاثف في الجو بواسطة البرد ويسقط الى الارض
فيذهب بعضه الى البحر والبحيرات وبعضه يغور في التراب ويخترق
الطبقات الصخرية أو ينحدر من بعض شقوقها الى الاسفل ثم يخرج من
تحتها الى ظاهر الارض على هيئة الينابيع أو الأنهر أو يبقى في باطنها
فيتوصل اليه بواسطة حفر الآبار *

فأما ماء المطر فهو نقى لا يخالطه إلا آثار من المواد التى يكتسبها
من الهواء غير أنه يفسد في المدن الغاصة بالسكان التى أبخرتها كثيرة من

إشعال النيران أو منبعثة من الأرض فلا يبقى صالحاً للشرب ويفسد أيضاً إذا جمع في أحواض غير نقية * نعم إذا حفظ في الصهاريج التي تقيه من الاكدار فلا مانع منه *

وأما ماء العيون والآبار فنقى صاف بارد من أفضل المياه للشرب ولو خالطه شيء من الكلس *

نعم ماء الآبار القريبة من المراحيض أو من البالوعات التي تنحدر فيها المياه القذرة واجب الاجتناب عنها لان البئر النقي هو الذي يكون ما حوله خالياً من الاسراب ويكون ما حوله بمقدار عمقه فليتنبه لهذه الفائدة *

وأما ماء الأنهر فكثيراً ما يكون مكدرأ بالتراب أو الرمل أو تحليل النبات أو جثث الحيوانات التي تلقى فيه وبما يندفع اليه من الاقذار والاسراب فلذلك يلزم تصفيته قبل استعماله أو غليه نحو عشر دقائق وهي طريقة سهلة في اهلاك الجراثيم المرضية كما حققه الاطباء *

وأما أدب تناوله فان يأخذ إناءه يمينه ويشرب مصاً لا عباً ولا يشرب قائماً ولا مضطجماً وينظر قبل الشرب في الاناء ولا يتجشئ ولا يتنفس فيه بل ينحيه عن فمه ويبدأ في السقي بالافضل ويدار منه بمنه *

(٩) ﴿ كلمة في الدخان ومضراته ﴾

كثيراً ما يشاهد المرء أموراً يراها في نظره الضئيل طغيفة غير

مكثر بها - ولا ناظر إياها نظرة محقق بل يغفل عما وراءها من المنافع والمضار وضم إلى ذلك بعض من أخذ منهم الغلو مأخذاً عظيماً فاعتقد بعض الأشياء المضرة بالجسم المنهكة للقوى نافعة جداً شأن كل من استحكمت فيه العادة وتمكنت منه باستحسان وانجذاب نفساني حتى أفضى حبه إلى قاب الاعيان ظهراً لبطن ، ولا بدع فحبك الشيء يعنى ويصم *

ومما يجرى هذا المجرى في استحكام العادة وتهافت النفوس بكليتها عليه — مع اعتراف الكثير بمضراته — هو الدخان فقد ثبت لدى الباحثين المحققين من الأطباء مضراته العديدة ومن ذلك تأثيره على الفم والمعدة بتهييج الأصل الفعال فيه الغشاء المخاطي الفمي لما يحدث من ذلك التهاب اللسان وقروح الحلق والتهاب اللوزتين وتكدير الإفراز اللعابي واصفرار الأسنان وتعريضها للسوس *

وتأثيره على الدم : — لأنه يذيب بعض السكريات الحمراء . ويغير شكل البعض الآخر ويذهب كثيراً من قوة جذبها للجوهر المحيوني (أوكسجين) وتأثيره على الإفرازات لمروره في الدورة بأسرع من خمس ثوان وتهيج القليل منه عرقاً وتهيجها للأمراض وتعريض الجلد للأمراض الجلدية وتأثيره على المجموع العصبي والمضلي : فقد يحدث تكديراً وخموداً في الأعصاب ورعشة عصبية عظيمة في البصر وخموداً واهتزازاً عضلياً إلى غير ذلك من المضرات التي ملأت بطون المجلدات.

الطبية وطفحت بها المجالات العلمية *

ثم هل يخفى على القارئ بعد المضرات الصحية التي تخل بنظام الجسم — المضرات المادية التي تخل أيضاً بالحياة الاجتماعية والادارة الشخصية بما تلتهمه من الدراهم والدنانير وتجعلها عرضة للهلاك والدمار كما قال بعضهم : فهذه النارجالية كم أهلكت من مال وأحدثت من داء وأدخلت في عبودية فلو أن شخصاً تصدى لجمع ما أنفقته وتنفقته « سوريا » وحدها في سبيل النارجيلة لرأي أمام عينيه جبل ذهب . ولو أنه عني بعد من قضى بسبب النارجيلة مصدوراً لتمثل شهداءها جميعاً كثيفاً ، وأما أنها أدخلت في العبودية فهو لا محذور التذباك لا يأتَمرون في تسعيره إلا بأوامر الطمع فيرفعون سعره ويغنون ثمنه كما يشاءون وما من داعية لهذا الغلاء الذي دخل في باب الغلو الا طمع المحتكرين *

نحن لا ننكر أن بعضاً من الاطباء قد ذكر له منافع لكن أين هي من مضاره التي تربو عليها ، بل ليست تلك المنافع أمام تلك المضار شيئاً مذكوراً على أن أكثر تلك المنافع التي ذكرت ليست من أصل طبي بل أغلبها وضع لترويج النفوس وتنشيط الافكار والعضلات على العمل العقلي واليدوي فقد قال أحدهم : « إن استعمال التبغ في بعض الظروف نافع لأنه يخمد الانفعالات النفسانية ويريح الانسان من الاتعاب العقلية والجسدية . قال ان الصانع الذي أنهك قواه الجسدية بالاتعاب الشاقة مدة نهاره يجد مساء في غليونه نوعاً من الراحة وتعويضا عما فقد من

قواه الطبيعية ومثله العالم الذي يكون نهاره في التبخر في المسائل الدقيقة
واحدودب ظهريه وتقرر صدره من الانصباب على التأليف والتسطير
يصادف راحة في ظل سحابة غليونه الزرقاء والمسافر الذي يخوض البحار
ويطوي القفار يصادف في دخان غليونه ما يدفع عنه أذى الاهوية المفسدة
والابخرة السامة والمياه المختافة»

فانظر تلك المضار الآتفة الذكر ثم قابل بينها وبين هذه المنافع الست
تري بينهما بونا كبيرا . أليست وضعت هي للتحريض على العمل والحض
على الاقلاع عن الكسل *

تلك مضار أصبحت اليوم من البديهيات وهذه أشبه شيء بالخيالات
الشعرية الوهمية وما أبعد ما بين الحقيقة والخيال

هذا ومن أراد الوقوف على مضاره بتمامها وحدا به الشوق على
الاطلاع عليها فليراجع رسالة « الشاي . والقهوة . والدخان » (١)
ولولم تقتصر في هذه الرسالة على الآداب المهمة اللازمة بدون إسهاب
عمل لسردنا هنا ضروريا من أضرارها وسودنا هذه الصفحات
بنتائجها وآثارها *

(١٠) (أدب الرياضة)

ترويح الفكر بالرياضة من تجول وتحريك أعضاء أو تأمل في منظر
جديد مفيد للجسم فائدة كبرى سيما لذوى الاشغال العقلية كالتصنيف

والمطالعة والتدبر في المعاني والنظم والنثر فإن الدأب على شغل واحد موجب للضجر وضيق الصدر وانفع الرياضات في حفظ الصحة ما يتحرك بها كل العضلات حركة معتدلة فإنها تنميها وتقويها وتحمل فضولها وتجعل البدن خفيفا نشيطا بسبب تكوين الحرارة الغريزية لأنه كلما زاد سيلان الدم في الجسم زاد أيضا رسوب دقائق جديدة في الأنسجة ونزع الدقائق النافعة ولذلك ترتفع درجة حرارة المتحرك أكثر من الساكن وأحسن أوقات الرياضة الصباح لأن الهواء وقتئذ جاف ونقي وقوى الجسم أشد ويجب تجنب الرياضة الشاقة قبل أكلة مستوفاة أو على أثرها ولا بد أن تكون الرياضة في الهواء النقي وفي نور الشمس فإن تأثيره في الإنسان مثله في النبات سيما للدارس العلم فإنه يتأكد له رياضة في النهار لا في المساء *

(١١) ﴿الالعاب الرياضية﴾

يقول بعضهم : إن الرياضة الجسدية في الألعاب الرياضية صحية أخلاقية إذ يستعان على صرف أهواء الشبان عما يضرهم والاختصاص بها إلى ما يفيدهم فإن في النفس ميولا متعددة وأهواء متباينة كامنة فما استعمل منها ونشطت وتغلبت على مبادئه وأصبح ملكة راسخة . ولذلك يجب أن يعدل ميل الشبان ويصرفوا عن الضار إلى النافع ويستعان بالألعاب الرياضية على ذلك . والألعاب الرياضية متعددة وليست كلها نافعة فليتنا

ان نختار الانفع منها للصحة ونصرف النظر عما لا يقصد به الا الفات نظر متفرج جالبا للدرم مما لا طائل تحته وما نؤثره حري ان ننظر فيه من وجهين (أحدهما) النفع الصحي ، (وثانيهما) ضرورة الاحتياج اليه في وقت ما فان الحياة عرضة للاخطار كما تمس الحاجة الى معرفة السباحة والعدو تحفظا من الفرق وأهوال الحرب . وقد اثبت التحقيق ان من جملة ما أعان على انتصار بعض الدول في المواقع البرية كون بلادهم جبلية وهم مروضون على الصعود والنزول فيها . والذي يهمنا الآن من ضروب الرياضة هذه الانواع (١) العدو على اختلاف ضروبه من حيث السرعة (٢) حمل الاثقال الخفيفة (٣) القفز ويدخل في عداد أنواعه — وربما كان انفعها — القفز على الحبل المتداول في المدارس (٤) المصارعة . (٥) الملاكمة (٦) كرة القدم (٧) المتوازيين (٨) السباحة (٩) الجرا الخفيف في الاثقال والكاوتشوك

ولا بد للمعلم — في اختيار نوع الرياضة لتلميذه — من النظر في تناسب أعضائه قبل كل شيء واختيار النوع من الرياضة الذي يسبب اشتغال تلك المحال الضعيفة كي يتناسب الجسم مثلا : اذا كان موضع عدم التناسب في الصدر — كأن يكون الصدر ضيقا — فانه يشير باستعمال آلة الصدر أو كان موضع الدمامة وسوء التناسب في الرجلين مثلا فانه يرشد الى استعمال كرة القدم الانكليزية وما قام مقامها .

ونمة طريقة تفضل غيرها — وهي وان كانت لا يمكن تلقينها كتابة

إذ لا يتأتى تعليمها وتعلمها إلا بواسطة معلمها الاختصاص إلا أنه يكفي الإشارة إليها والتذكير بها وهي مع قربها عجيبة النفع يصبح مستعملها بعد ثلاثة أشهر قويا وضخما مهما كان في بادئ أمره نحيفا ودعيا . واستعملها بواسطة اكر حديدية صغيرة ثقلها من الكيلوغرام الى الاربعة أو الخمسة كيلو غرامات حسب حالات التلامذة المختلفة سنا واستعداداً ولذلك هي مقدرة بدرجات معدودة (منمرة) وهذا الترتيب العجيب يتكفل بتحريك كل عضو على حدته وتنفرد الفائدة وتتصل بكل محل في الجسم فينجح التلميذ بنجاحا عاما ، وهي عبارة عن (٢٨) حركة عند الاختصاصيين وتزيد عدتها وتنقص وتختلف اختلافا متقاربا عند بعض المعلمين الآخرين حسب آرائهم *

ولا يحمل النحفاء اليأس وتوهمهم عدم قبولهم للنمو على ترك الاجتهاد والتمرن فقد أثبتت تجارب أحد كبار المعلمين نتائج تفرحهم وتخفف من يأسهم وقنوطهم وقد حدث أقوى أقوياء بعض الممالك أنه قال تلك المقدرة العظيمة بفضل اجتهاده ومثابرته فصارت قوته مكتسبة وكان قبل نحيفا هزيبا للغاية وما ذلك الا لعنايته وبمعرفة الاسباب والتمسك بها *

وهكذا ينبغي أن يهتم النساء مثل اهتمام الرجال بالرياضة الجسدية أو أعظم كي تتضاعف الفوائد وتشارك بين الجنسين وتكون الاجنة أقوياء قوة مضاعفة وهذا درس أولي تهديه للشبيبة العزيزة اه ملخصا

(١٢) (أدب السباحة)

كتب بعضهم في ذلك ماثله :

كان الافدمون يهتمون بأمر السباحة اهتماماً عظيماً — لانها تقوى العضلات وتنشطها دون أن تتعب البدن تعباً شديداً وهذا الفن هو بدون شك من أقوى المروضات البدنية ، فالسباحة تجمع بين الرياضة والنظافة فضلاً عن انها تجعل الاستحمام بالماء البارد مقبولا عند الاطفال حتى وعند الكبار الذين لا يحسنونها ولا شيء ينشط القوى العضلية ويسكن الجهاز العصبي ويزيد في خفة ومرونة الانسجة مثل رياضة السباحة. وهي فضلاً عن ذلك تهيج القابلية وتساعد على الهضم وتحسن تغذية البدن وتعديل وظائف الرئتين والقلب وتزيد في الصفات العقلية قوة ونشاطاً .

قال حكيم : « يخشى بعض الناس من غرق الاولاد على انى لا أرى للآباء عذراً على هذا الخوف — لان الولد اذا غرق وهو يتعلم السباحة أو غرق لكونه لا يحسنها فاللوم في الحالتين عائد على ذويه لانهم لم يراقبوه وقت تعليمه او لانهم أهملوا تعليمه ، ولا ريب ان السباحة هي من أقوى العوامل التي تعود الصغار على احتمال تغيرات الطقس من حر الى برد وتقوى أجسامهم فلا يصابون بالهزال ولا يكونون معرضين لاجوجاج العمود الفقري ، ذلك لان السباحة تنشط البدن بوجه العموم

فتكسب الجلد صلابة ويتسع بها الصدر لأنها تقوى العضلات الممددة له
وليس علم السباحة بالامر الصعب فلا يلزم للانسان سوى بعض
الحركة الخفيفة ليبقى عائماً على وجه الماء (وفوائد السباحة) كثيرة
(منها أولاً) انتعاش البدن ببرودة الماء لا سيما في فصل الصيف بسبب
ما يفقده الجسم من الحرارة وقت الاستحمام (ثانياً) ترويض الاعضاء
بسبب ضغط الماء على الجسم وتموجه (ثالثاً) تنبيه الجلد وتنظيفه
وانفتاح مسامه وزيادة مرونته وكل هذه المفاعيل تحسن الصحة .
وتكسب الانسجة الضعيفة صلابة تساعد الجلد على القيام بوظيفته المهمة
وهي افراز بعض الفضول السامة مع العرق ، فالسباحة والحالة هذه تفيد
المهزولين وأصحاب المعى الضعيفة والمصابين بالامراض العصبية وترد
النوم لاجفان المصابين بالارق وتنعش قوى الجسم بوجه العموم حتى
لا تعود تغيرات الطقس تؤثر فيه ولا سيما فعل البرد ، وتقيه النزلات
الصدرية. ولكي يحسن الانسان السباحة لا بد له من الابتداء بتعلمها منذ
حداثة سنه وعلى السابح أن يتنفس بكل هدوء وسكينة ويتصور أن الماء
مستند طبيعي وان يترك الوهم والخوف جانباً ولا يلزمه أن يصلب
أعضائه كما يفعل الكثيرون عند ما يحاولون السباحة لأول مرة بل يلزمه
ان يتراخى ويحرك ساقيه ويديه بكل تأن وبلا عزم لان اجهاد القوى
لا يفيد شيئاً ولكنه مضر يتعب السابح * هذه هي أهم الامور التي يجب
على الانسان أن يعرفها إذا أراد تعلم السباحة وإذا اتبع السابح النصائح

التي ذكرناها ولا سيما عدم اجهاد قواه يبلغ من الاتقان شأواً بعيداً لان
ما ذكر من قواعد السباحة مأخوذ عن عوام شهر قطع البحر سباحة بين
فرنسا وانكلترا (خليج المانش) وذلك غاية ما وصل اليه الانسان من
اتقان فن السباحة *

وما أخرى القاطنين على سواحل البحر وشواطئ الأنهر ومن يقضى
فصل الصيف على السواحل أن يهتموا بتعليم أولادهم السباحة وأن
يتعلموا معهم إذا كانوا لا يحسنونها لأنها تفيد أجسامهم كما ذكرنا وربما
كانت سبب نجاتهم من مخالب الموت * وفي المثل الدارج « الذي يحسن
السباحة له عمران »

(١٣) ﴿ أدب المريض ﴾

يلزمه حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر واستشارة طبيب حاذق
عالم باصول نواميس الصحة دارس لقواعد الطب ، والتداوي بما يشير به
وقوفاً مع الاسباب التي وضعها المولى جل شأنه ثم التوكل بعدها في
الشفاء عليه سبحانه . ويلزم في كل الامراض الراحة جسداً وعقلاً ،
فيسكن عن الدروس والمصالح التجارية . ويلزم أن تكون غرفة المريض
غير معرضة للأصوات لئلا تزعج المجموع العصبي وأن تكون نظيفة
يشرح الصدر منظرها فان منظر الكريه يزعج المريض ويزيد في ألمه .
ويلزم أن تكون غرفة المريض واسعة يدخلها هواء كاف وان يكون أثاثها

قليلا لئلا ينحبس فيها هواء فاسد وأن لا يكون نورها قويا لئلا يهيج دوران الدم في الدماغ وأن يساعد على تهويتها دائما ليتنفس المريض نقي الهواء فيدور الدم في الجسم نقيا فيبقى فتشتد قوة المزاج على مدافعة المرض، فإن الهواء الفاسد في غرفة المريض يطيل الداء وقد يميت العليل تدريجا ، ويؤخر فراشه شيئا ما عن نفاذة الهواء ، وتهوى أمتعته وفراشه يوميا وأن لا يتناول دواء ويذوقه الا بإشارة طبيب ماهر كما قدمنا فلا يصفى لمن يصف دواء وهو غير طبيب اذ لا يجوز لغير حكيم وصف دواء *

(١٤) ﴿ أدب الطبيب ﴾

قال الحكيم داود الانطاكي في مقدمة تذكرته : يجب على الطبيب اتقان العلوم التي تتوقف الاصابة في العلاج عليها وأن يكون متينا في دينه متمسكا بشريعته دائرا معها حيثما دارت ، نسبته إلى الناس بالسواء خلى القلب من الهوى ، لا يقبل الارشاء ولا يفعل ما يشاء ، ليؤمن معه الخطأ وتستريح اليه النفوس من العناء . وهالك صورة العهد الذي كان يأخذه أبقرراط رئيس هذه الصناعة على متعاطى الطب . كان يقول له : قل برئت من قابض أنفاس الحكماء وفياض عقول العقلاء ورافع أوج السماء مزكى النفوس الكلية وفاطر الحركات العلية ان خبأت نصعها أو بذات ضرا أو كافت شرا أو تداست بما يغم النفوس وقعه أو قدمت ما يقل عمله اذا عرفت ما يعظم نفعه ، وعليك بحسن الخلق بحيث تسمع الناس ولا تعظم مرضا عند صاحبه ولا تسر الى أحد عند مريض ولا

نجس نبضاً وأنت عابس ولا نخبر بمكروه ولا تطالب بأجر وقدم نفع
الناس على نفعك واستفرغ لمن القى اليك زمامه ما في وسعك فإن ضيعته
فأنت ضائع وكل منكما مشتر وبائع والله الشاهد على وعليك في المحسوس
والمعقول والناظر الى واليك والسامع لما نقول فمن نكث عهده فقد
استهدف لقضائه الا أن يخرج عن أرضه وسمائه وذلك من أمحل المحال
فذلك المؤمن سبيل الاعتدال . قال الحكيم داود قد كانت اليونان
تتخذ هذا العهد درسا والحكام مطلقا تجعله مصحفا

(١٥) ﴿أدب العيادة﴾

خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة والدعاء بالعافية وغيض النظر
عن عورات الموضع . والاحسن في العيادة أن يستخير من أهله أو يجتمع
بهم وحدهم أو يهدي اليه السلام فقد قال بعض الاطباء : لا يجوز ازعاج
المريض بالعيادة ولو كانت قصيرة لان التنبيه الناشئ من زيارته يؤذيه
ويزيد في مرضه سيما بعيادة الثقلاء ومن لا يعرض عن اللغو ، وان لا تسمع
الاصوات في غرفته ولكي يتم ذلك فلا يجوز أن يبقى فيها أشخاص
أكثر ممن يلزم الخدمة المريض ، وأن تكون حركات خدمته برفق وبلا
صوت ، ويحترز عن اغلاق الابواب بعنف وعن صرير المفصلات وعن
النجوى إذا كانت كثرتها تضيق صدر المريض ، ولا يجوز اخباره بما
يكدر ولا الاشارة الى خطر مرضه *

(١٦) ﴿أدب تشيع الجنارة﴾

لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكير في الموت والاستعداد له وأن لا يذكر الميت إلا بالجميل المعروف منه *

(١٧) ﴿أدب الممزي . بكسر الزاي﴾

التوجه المصاب والتعزن والدعاء له وتسلية بما يخفف ألمه لا بما يهيج أشجانه وقلة الحديث وترك التبسم والمجون *

(١٨) ﴿أدب المعزي . بفتح الزاي﴾

التجلد والصبر والتصبر والتسليم لامره تعالى والتذكر بأن ما أصابه هو سنة الله في خلقه . قال حكيم : من علم أن أحداً من الناس لم يأخذ على الله عهداً بدوام النعم والسلامة من الآفات وإن مافي أيدينا من مال وولد وعز وجاء إنما هو عارية أعارنا الله إياها ولو شاء منعها فلم يعطها كان حرياً أن يتوقع استردادها في كل حين وزوالها في كل يوم فإذا زالت لا يرد على النفس ما يزعجها ولا يفاجئها ما لم يكن يترقبه ومن نظر في أمر هذه الحياة وخبر شؤونها وتصرفاتها وقتلها علماً وتجربة علم أنها معترك هائل يموج بالرزايا موجاً وإن الإنسان فيها بمثابة المخاطر في معترك الحرب إن فاتته ضربة سيف لا تفوته طعنة رمح أو رمية سهم غير أن لكل طبقة من الناس بلایا خاصة ومصائب تغاير

مصائب الطبقات الاخرى وإن كان أثرها في الكل واحداً فمن أراد بعد هذا من حياته صفاء لا يشوبه كدر وسعادة لا يخالطها شقاء فليعيش في عالم غير هذا العالم وابطال حياة غير هذه الحياة ذات نظام غير هذا النظام وسنة غير هذه السنن أن استطاع اليها سبيلاً . « وإن تجد لسنة الله تبديلاً »

(١٩) ﴿ أدب زيارة القبور ﴾

تستحب زيارة القبور للرجال وتكره للنساء إلا أن يقع منهن محذور فتحرم عليهن فالزائر يقف أمام القبر ويقرب منه ويسلم على صاحبه ويدعو له ولا يتمسح بالقبر ولا يصلي عنده لثبوت النهي عن ذلك في المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقول إذا دخل المقبرة السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون (١) يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين * نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم (٢)

والقصد من الزيارة الدعاء الميت والاعتبار به وترقيق القلب وتذكر الآخرة وإنما يحصل له الاعتبار بأن يصور في قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه وكيف يبعث من قبره وأنه على القرب سيلحق به (٣)

(٢٠) ﴿ أدب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

من أقبل على المدينة المنورة فليكثر من الصلاة والسلام على النبي

(١) الاستثناء يرجع للحوق بوصف الإيمان اه (٢) عن الاقناع وشرحه (٣) للامام الغزالي

صلوات الله عليه وسلامه وليغتسل قبل الدخول اليها وابتطيب ولبس
أنظف ثيابه . ثم يقصد المسجد النبوي ويصلي فيه بجانب المنبر ركعتين
ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه الكريم وذلك بأن
يستدير القبلة ويستقبل جدار القبر الاطر على نحو من أربعة أذرع ولا
يمس الجدار ولا يقبله بل يتأدب في الوقوف من بعد ويقول : السلام
عليك يا رسول الله . السلام عليك يا نبي الله . السلام عليك يا حبيب
الله . السلام عليك يا خيرة الله من خلقه . السلام عليك يا أكرم الخلق
على ربه . السلام عليك يا امام المتقين . السلام عليك يا خاتم النبيين .
السلام عليك يا فاتح البر . السلام عليك يا نبي الرحمة . السلام عليك
وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . السلام
عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين
جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته . وصلى
عليك أفضل وأكمل وأعلى ما صلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من
الضلالة . وبصرنا بك من العمية . وهدانا بك من الجهالة . أشهد أن
لا إله إلا الله ، وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه . وأشهد أنك
قد بلغت الرسالة . وأديت الامانة . ونصحت الامة . وجاهدت عدوك
وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، فصلى الله عليك وعلى
أهل بيتك الطيبين وسلم تسليماً .

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه ويقول :
السلام عليكما يا وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمعاونين له
على القيام بالدين ما دام حياً والقائمين فى أمته بعده بأمور الدين . تتبعان
فى ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاك الله خير ما جزى وزيرى نبى
عن دينه (١)

(٢١) وصية فى التشيع وما بعده (٢)

يعجب العاقل من بدع عم ضررها وفشا بلاؤها واستحكمت جرثومتها
فى نفوس كثيرين حتى أصبح طرحها بدعة والتمسك بها سنة *
هذا هو تشيع الجنازة اليوم قد حوى من البدع المضرة ما لا
تسمع إبيانه هذه الوريقات ، يعلم ذلك من رجع الى أمهات السنة
وكتب الفقه »

ولئلا أخلى القراء من الفائدة أورد لهم هذه الوصية - الوصية فى
التشيع وما يعقبه - لأحد الفضلاء عبدة لقوم أشرب قلوبهم حب الظهور
أو النظاهر . بل الفخر أو التفاخر لعلمهم يتذكرون أو تنفعهم الذكرى
وهاكها بنصها الفائق قال :

« وصينى لأقربائى ، وأصحابى وأصدقائى »

إذا نعت اليكم : ونزل خبر انتقالى عليكم . فاجتمعوا لتشيعى .
وقوموا بسنة توديعي ولكن أحذركم أن تسمحوها لنادبة أو تسمعوها

(١) من الاحياء للنزالي ملخصاً (٢) عن كتاب آداب الفتى

لصاحبة أو ترضوا لفاطمة أن تكون لاطمة أو تأذنوا لنائحة أو تنصتوا
لصائحة أو تفتحوا بابا للمؤمنات هؤلاء اللاتي اشتهرن بالمعدنات ثم
اعلموا ان الحزن انما هو في القلوب لا بلطم الحدود ولا بشق الجيوب
فإنهم أن تأتوا شيئاً من هذه المعائب وأن تحملوا أوزاركم علي ظهوركم
بهذه المثالب *

فالنبي لما فجع بولده وفلذة كبده قال : « إن العين لتدمع ، وإن
القلب ليخشع وانا بك يا ابراهيم لمحزونون — إنا لله وإنا اليه راجعون .
ولذلك لا تخرج وراء النعش قريبة ولا جارة ولا صاحبة ولا نسيبة
ولا رابات ولا راجلات ولا مبرقعات ولا سافرات ولا أختى ولا
زوجتى ولا بنت أختى ولا بنتى وقد نهى عن ذلك سيد الكائنات
بقوله : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » وإياكم وخروج النساء
الى القبر فذلك عيب لا يستطاع عليه الصبر ، أما أنتم فاذا زرت المقابر
فليكن للعظة ولكم في ذلك ذكرى وموعظة تنظرون الى الموتى في
حضرتم نظر الذى سيلحق بهم في ليلة زورهم وتتفكرون في من
ضمت هذه المقابر من الاكابر والاصاغر ومن ملك ومملوك وأمير
وصعلاوك وكيف حل بهم الموت فجعلهم أجمع لا ينتظرون غير عفورهم
لاشئ مما اقتنوا ولا قصر مما بنوا ولا مال ولا بنين ولا أمل في غير رب
العالمين فيظهر لكم بأجلي برهان قدرة الواحد الديان وكيف اننا بعد الحياة
ميتون وبعد الموت منتشرون *

وكذلك اجتنبوا السرف في النفقات والنقوش في الحجارة فذلك
عمل لا يفيد ساكن القبر وفي التباهي به وزر على وزر *
وبالجملة آمركم أن تكونوا عند حد الشرع الطاهر ولا تقربوا شيئاً
من تلك المظاهر وأن نحاربوا تلك البدع بعدتكم وعدتكم وتجاهدوا
لإزالة تلك المنكرات بجميع قوتكم لتطهروا بيت العلم من مثل هذا
الأنم لانه اذا كانت بيوت العلماء ميداناً لهذا البلاء وما آثم الكبار
تشمعل على مثل هذا العار فكيف يرجى لنا الصلاح أو تتعلق آمالنا
في النجاح .

كنت في الحياة أظهر بأجل رونق بثياب من سندس واستبرق وأنا
الى البلى اليوم صائر فما معنى هذه المفاخر ، هل لتجاني الاشلاء كما يفعل
الاحياء ، أم تخشون أن تحقرني أهل الدار الآخرة فتدثروني بخنوطكم
الفاخرة وتزفوني بحفلاتكم الباهرة ، أم ليت شعري ما الذي يدعوكم
لركوب هذه الآفات واحتمال هذه النفقات *

ذلك لعمر الحق لا ينفع وما تقدمونه لى من هذا المبتدع لا يشفع
فالله الذى وعد المتقين خيراً فى الدار الآخرة يقول : « فمن يعمل مثقال
ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »

فمن سلك سبيل الطاعات يحمد منه السرى فقد قال تعالى : « وأن
ليس للانسان إلا ماسعى وان سعيه سوف يرى » ومن ضل عن الصراط
السوى ولم يتبين له الرشده من الفى فبشره بالعذاب الاليم : « والذين

كذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم»
فبأقوم كتابكم وعدمكم بالثواب على الحسنات وأوعدم بالعقاب على
السيئات والله لا يخلف الميعاد ولا يمنع ما أراد فاعملوا بأوامره واجتنبوا
نواهيه تكونوا من الفائزين ، قال الكاتب :
فهذه وصيتي بكتابي لجميع الذين يحضرونه : فمن بدله بعد ما سمعه
فإنما آثمه على الذين يبدلونه ، إنه مأخضا *

الباب السادس في أدب السفر

(١) ﴿ أدب المسافر ﴾

أن يبتدىء برد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته
ورد الودائع ان كانت عنده وأن يطيب زاده ويطعم منه وأن يأخذ
ما يوسع فيه على رفقاته وأن يطيب كلامه ويظهر مكارم الاخلاق وبحسن
الى المكارى ويعين الرفقة بكل ممكن ويداعبهم ويطايبهم من غير فحش
ومعصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر وأن يقصد من سفره زيادة علم
أو أدب أو تبصرة من تجربة أو تعرف آياته تعالى (١)

(٢) ﴿ أدب الركوب في القطار ﴾

إذا عزمتم على السفر فتعرف مواعيد حركة القطار وعليك أن

(١) كما استراه في كلمة السباحة

تذهب قبل الميعاد بنصف ساعة لاختذ بطاقة الركوب واحذر من
الذشالين في موقف بيع البطاقات وأن تبتعد عن الزحام بقدر الامكان
وضع أمتعتك في مكان ركوبك بترتيب واجلس غير مزاحم لرفقائك
وكن معهم في أدب وإيثار ولا تسيء أحداً منهم وشاركهم في الحديث
إذا رغبوا وإذا وقف القطار فلا تسرع في النزول وانتظر تمام وقوفه
ونزول المزامحين وسلم أمتعتك للجمال بالعدد وخذ عدده (نمرته) ثم
أركب الى منزلك بسلام *

(٣) (كلمة في السياحة)

قال حكيم : السياحة تزيد في سعة المدارك وتشرف بالانسان على
أسرار العالم وعلى نوايس العمران والخراب في الامم وعلى أسباب
المدينة والوحشية في الشعوب وتجعل للانسان فكرة عامة على معنى الحياة
الانسانية الصحيحة والنظر في الكون نتيجه توسيع نطاق سلطة العقل
الانساني على الادراك والسريان في ضمائر الكون والوقوف بالتصور
والفكر على المواقف التي هما جديران بها من هذا العالم البديع وتخويل
القوة البشرية خاصية استخدام قوى الكائنات في تحسين الحياة الانسانية
وتهذيبها بما يفتح للعقل من منغلق المساتير ومؤصد الاسرار وهذا كله كما
لا يخفى يعلو بالعقل والفكر ويسمو بهما درجات متوالية فيحصل
مايسمونه الترقى في الهيئة الاجتماعية *

الباب السابع في آداب النفقات ومتفرقات (١) (أدب النفقة المنزلية)

ان عماد هذه . أعنى النفقة المنزلية الاعتدال والتقصد بين التبذير والتقتير : يقول ناصح : وشرطه ان يكون الانفاق أقل من الدخل ولو زهيداً جداً بحيث تجمع ثروة من الموفرات مع الزمان فان للثروة المجموعة من الموفرات الزهيدة فائدتين عظيمتين : (أولاهما) انها تكون مالا احتياطيا يلجأ اليه عند مسيس الحاجة في حالة مرض أو عجز أو عسر لموقوف العمل الى أن يأتي الفرج (وثانيهما) تكون قوة اضافية تشر في تجارة أو صناعة بحيث تكون ذات ربيع لتنمو وتتكاثر من نفسها مع الزمان وما يتذرع به البعض لتثمين أموالهم من طريق الربا فانه ذريعة المقت الالهي والعذاب الابدی

ولعلك تقول ما سر تحريم الربا في جميع الاديان السماوية ولعن فاعله في الكتب الالهية فتجواب بان ذلك لا يخفى على نبيه وهل يلغى محرم الا وآثار فسادة جليلة، هذا الربا انما حرم لنتائجه الهادمة لبنى الانسان فان فيه اضرار المحتاج وتعريضه للفقر الدائم والدين اللازم الذي لا ينفك عنه وتولد ذلك وزياداته نجاته فتسلبه متاعه وأثائه كما هو الواقع في الواقع فالربا أخو القمار الذي يجعل المقهور حزينا محسوراً فمن تمام حكمة الشريعة

المنتظمة اصلاح العباد تحريره وتحريم الذرائع الموصلة اليه .

(٢) ﴿ النفقة على البؤساء ﴾

ان من أعظم الآداب التي يجب رعايتها « الزكاة » التي أوجبها الشرائع وفرضتها على كل متمول موسر وذلك لما فيها من الفوائد الجمة التي منها سد حاجة المعدوم ورفع أحقاد أهل الفاقة على من فضلوا عليهم في الرزق واشعار قلوب الاغنياء بحبة الفقراء وسوق الرحمة من أولئك على هؤلاء فتستقر بذلك الطمأنينة في نفوس الناس ولادواء لامراض الاجتماع أنجع من هذا كما قال حكيم امام .

فاذا كانت الزكاة بهذه المثابة وجب رعايتها وحفظها بآدابها فمن أهم تلك الآداب تأديتها بأوقاتها للبائس الفقير ومواساته بها بدون تمهل وأن يكون ذلك بصورة سرية خفية بدون أن يشعر بها أحد .
وهناك حق آخر أودع في أموال الاغنياء عدا الزكاة وهو ايتاء المال حيث تعرض الحاجة الى بذله في غير وقت أداء الزكاة *

(٣) ﴿ النفقة على العلم والتربية ﴾

ما أجدر الاغنياء بانفاق أموالهم على معاهد العلم والتربية وما أحق الموسرين بعد أن يسدوا عوز الفقراء المدقعين — أن يحيو ملكاتهم العقلية والفكرية وأن يملأوا أدمغتهم من العلوم العصرية التي عليها مدار رقي الامم *

لا يجهل من له أدنى مسكة من العقل ان أهم أسباب ذلك الارتقاء هو إنشاء المدارس وتشديد (الكليات) وذلك لا يتأتى إلا بالتعاون والتعاقد وبذل المتمولين من الناس الدنانير في هذا السبيل سبيل العلم والتربية * ومن وقف على سيرة السلف الصالح يرى أنهم مهدوا لنا تلك السبل قولاً وفعلًا ، كما وجد في هذا العصر كثيرون من أرباب هذه النهضة (١)

ولقد عثرنا على خطاب بليغ لأحد الاساتذة المشاهير افتتح به بافتتاح مدرسة أنشأها إحدى الجمعيات الخيرية قال مالمخصه :

لا نريد أن نخطب الموسرين الذين أغوتهم شرّة الغنى وأسكرتهم خمرة الشباب فقدموا بأموالهم في هوة الضياع وصرفوا الطارف والتلبد فيما يضر ولا يفيد * فأولئك كالأنعام بل هم أضل * . وإنما نقصد العقلاء من الأغنياء فنقول : اذا كنتم تقصدون لتوفروا من مالكم ما تتركون

(١) تلحق الجرائد الاوربية كثيراً في أمر النفقات الطائلة التي يؤديها الاغنياء الامبركيون مساعدة لاندبة العلم والمدارس السككية والمكاتب العامة . من ذلك أن كلية برلستون تلقت هبات كثيرة منها قطعة ارض مساحتها (١٤٠) هكتاراً . وهبة أخرى ذات دخل سنوي يبلغ (٥٠٠) الف فرنك ، وخصت في وصية بمبلغ قدره مليون ونصف من الفرنكات ومن ذلك ان جامعة مدينة يال أهديت اليها ارض قيمتها مليونان ونصف من الفرنكات . وهبت كلية فرجينيا خمسة ملايين من الفرنكات منحها اليها اميريكية . وقالت في هبتها انها تريد ان ينفق ثمنها على شراء كتب لتلك المدرسة فلا تمجب بمدها لارتقاء العلم عندهم هذه هي الاعمال الخيرية الجارية عندهم بحرى السيول فكان يحاكيها في الشرق اشادة المدارس التي لم تزل رسومها شاخصة ، وقد وقف لها من الاماكن التي لو بقيت دارة ولم تتلاعب بها ايدي اعداء التقوى والعلم لاحيت ملايين وسمت بهم الى مكان مكين

لاولادكم حتى لا يكونوا فقراء تعساء فقد سعيتم في طريق محمود مهده
الاسلام ودعا اليه النبي عليه الصلاة والسلام . وان ماتصرفون في سبيل
العلم والتربية هو من هذا القبيل أيضاً لانه توفير لسعادة الابناء . بل
لاسعادة بالمال إن لم تصحبه تربية نافعة وعلم صحيح يهتدى بهما المتمول
الى كيفية الانتفاع بل لا يكون الانسان سعيداً الا اذا كان عائشاً مع
مهذين سعداء . هب انك تركت لولئك ما ينبغي من الثروة وهو في
موطن خيمت عليه الجهالة واستحوذت عليه الضلالة أترأه يعيش سعيداً
بين الاشقياء ويحبي غنياً بين الفقراء ولا تمتد اليه يد الغواية وتغلب عليه
طبائع السفهاء وتستهويه شياطين الاهواء . كلا ان المرء بقرينه ورجل
الخير بين أبناء الشرور على خطر . فمن أنفق من ماله على العلم والتربية
فهو الذي يوطي لذريته أكناف السعادة ويوطد لهم دعائم العيشة الراضية
لانه يصلح لهم مبادئ يعيشون في ظلها آمنين اه

(٤) (حب الوطن)

عد الحكماء من أمهات الفضائل فضيلة حب الوطن والمراد بها أن
يبدل المرء ما يقدر عليه مما أعطاه الله من العلم والمال والخبرة والنصح
في عامة الاحوال والازمان لمنفعة وطنه ومواطنيه فيستقيم في وظيفته
وينصح في تجارته ولا يفسح في حرفته ويبدل جهده في تحسين حاله ولو
بالسفر الى الممالك البعيدة لتحصيل علم يفيد به قومه أو صنعة ينتفع بها في
وطنه أو تجارة يجلب منها لبلاده ما تمس اليه الحاجة ونحو ذلك من

المقاصد الصحيحة فليس محب الاوطان من لا يخرج عن الحيطان والقاعد فيه قعود العجائز وملازمه ملازمة العاجز *

ومما يجب في حب الوطن أن يدافع العدو الذي يحاول اغتصابه واحتلاله وان يجاهد دونه بالاموال والانفس احتفاظا بما لاهله في وطنهم من إقامة شعائر دينهم وتقليبهم في أملاكهم وصون حريمهم وتصرفهم في معاشهم والقيام على تربية أولادهم وذريتهم الذي يحاول العدو أن يحول بين هذه الامور وبين أربابها فيقضي على شرف دينهم وينهب أموالهم ومقتنياتهم ويهتك حرمةهم ويمحو تاريخ مجدهم ويبقي لغتهم وعلومهم في رطائته وعوائده . كل هذا مما ينويه العدو الغاصب للوطن تلقاء أهله ولذا وجب الجهاد دونه لوجه الله وفي سبيله وبهذه المناسبة نأثر ما قاله بعض الفضلاء .^(١) من أن كلمة الجهاد أضحت ولها معنيان . معنى شرعي ومعنى أوربي قال : أما معنى الجهاد الشرعي فهو بذل الجهد والطاقة في مدافعة العدو عن البلاد كما يبذل أبناء وطن جهدهم في الدفاع عن وطنهم فاذا نادينا بالجهاد في المسلمين كان المراد استنفارهم للدفاع عن وطنهم وعن أبناء وطنهم من أي ملة كانوا وليس معناه حض المسلمين على مقاتلة غيرهم ممن لم يكن على دينهم ولو كان من أبناء وطنهم المكافين معهم في الدفاع عنه * وأما معنى الجهاد الذي دعونه أوربياً فهو أن أهل أوربا وبعض المواطنين من أهل الكتاب يفهمون من اطلاق كلمة (الجهاد) انه عبارة عن تهيج عامة

المسلمين على المخالفين لهم في الدين أيًا كانوا وحضهم على الهجوم عليهم من كل صوب واعمال السيف فيهم وهو معنى يبرأ المسلمون ودينهم الطاهر الى الله منه فان الجهاد في هذا المعنى من صنيع من لا يقيم للدين وزناً ولا يفهم للاجتماع الانساني معنى وهو متناف لتعاليم الاسلام وأوامر القرآن الكريم في مثل قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ فليفقه هذا من يظن ان الاسلام يحض على مقاومة سائر من لم يكن على دينه من متعصبة الافرنج اذ ليس بعد مثل هذه الآية الكريمة موضع للريب والاشتباه في طهارة الاسلام وبرأته مما يصبونه به وليس (الجهاد) بمعناه الشرعي القرآني غريباً عن أصول مدنية أوربا التي تربي ابناءها على حب الوطن والدفاع عنه الى حد الاستماتة في سبيله فكيف تكون استماتة الفر بيين في الدفاع عن وطنهم كرامة وشرفاً وفخراً لهم وتكون استماتتنا معشر المسلمين في الدفاع عن وطننا همجية وتوحشاً وعاراً علينا ؟ أذلك لاننا نسمي هذه الاستماتة جهاداً وهي كلمة عربية فصيحة مؤداها بذل الجهد والطاقة في الدفاع عن الوطن وما يتبعه مما فسرناه به *

(هـ) ﴿ أدب النائب في مجلس المبعوثين عن الوطن ﴾

تعرف الرجال من أقوالهم وأفعالهم واحسانهم واستعدادهم وتقائهم في عمل النافع وحب الانسانية وعضد المشروعات الخيرية

فالنائب لا يطلب بين خزائن النقود حيث يكون محبوباً ولا من وراء
سجوف النعمة ورغد العيش حيث يتوارى عن عينك فان من ترفع عنك
لا يهبط اليك ومن ابتعد عنك لا يتبعك اذا مشيت الى خير ولا يمتزج
بين أفرادك في ضيقك ولا يقودك في حاجتك إلى الهداية فهذا ليس هو
النائب الوطن من كان له في سرّائه وضرّائه ومن يضحى نفعه لينفعه
ومن يضع نفسه ليرفعه ومن يرصد معارفه وقوته وأوقاته له *

النائب مشرع للقوانين أول ما يجب عليه معرفته أن يحسن علم
الحقوق ويعرف حركة المجالس النيابية عند الأمم الراقية ويحسن تاريخ
أمته واجتماعها ويعرف ما يديها ويرفعها ويدرك علائق حكومتها بحكومات
أوروبا وما تم بيننا وبينها من المعاهدات وما نالوه منها من الامتيازات
ويكون قادراً على الاستخراج من كتب السياسة والادارة والقضاء باحدى
اللغات الاجنبية *

فاذا توسم الشعب جميع هذا في شخص جمع بين العلم وعلو الهمة
وحسن الادارة والتزهد عن التحزب والاغراض . فعليه أن يلمس رآيته
ولو كان الكوخ مسكنه أو كانت الدسكرة موطنه فان هذا من تطايبه
الوظيفة وان كان هو لا يطلبها *

ومن لم تكن له هذه الصفات فليس هو ولو أعجبتك وعوده وأقواله
لانه ليس كل من قال تتحقق فيه الآمال *

وقال بعض الفضلاء : ان وظيفة النائب الذي يصبح بنوالة النيابة

حائزاً على الوكالة المطلقة عن الشعب وبغدو ذا حق واسع في المراقبة التشريعية والمالية وذا سلطة كبيرة بالهيمنة على مصالح الامة وصونها وبنقد أعمال ذوي الوظائف الخطيرة لا يكفيها (أى وظيفته) حب الوطن أو الوجاهة في القوم أو الثراء أو الجراءة بل تستلزم اطلاعاً واسعاً ووقفاً تاماً وفكراً ثاقباً وعقلاً مثقفاً ولا تقاس بالوظائف التى دونها فان النائب ليس قد قلد مقاليد الالوف التى انتخبته ووكّل شؤون الاقليم الذى انا به لابل مقاليد الملايين التى تقطن في جميع ارجاء الوطن الواسع ليتصرف بها تصرفاً اجتهادياً واستقلالياً من حيث سن الشرائع الجديدة وتشذيب الموجود منها بما يلائم الحاجيات العصرية والعنصرية ومن حيث تنظيم القوة التى يرتكز عليها شرف الامة السامى تنظيمها بحفظ الحوزة وينفي عن الوطن التسلط والتحكم الاجنبى ومن حيث التشبث بالامور الاقتصادية والنافعة التى هى مبدأ سعادة الشعوب في كل حين وأن وعلى هذا يجب أن يكون النائب : (أرلاً) متضلعا بالقوانين القضائية والادارية والجزائية الموضوعة تضلعا واسعا يستطيع أن ينقد به حسنها من منقودها ويكون عارفاً بمواضع خللها ونقصها وصعوبها وسهولها ليتمكن من تعديل مايجب تعديله وتشذيب مايلزم تشذيبه ورد ما يكون مخطوراً وقبول ما يكون مصيباً ليكون كل منها قريب المأخذ سهل التطبيق فتحصل الفائدة المطلوبة من كامة النظام *

(ثانياً) ان يكون مطلعاً على قوانين الامم الراقية التى سارت عليها

فوصلت الى غايتها ومأمنها من الخير والمكائنة لكي يقدر أن يقيسها مع حاجاتها فينقل أو يقلد منها ما يراه موافقا *

(ثالثا) ان يكون دارسا نظريات أرباب الحقوق والادارة واقفا على آرائهم ومطالباتهم ليكون بعيد مرآي النظر فيما يرتبته لا يقترح امراً ولا يعزم على تنفيذه أو إدخال شيء الا وهو مدعم بثاقب الفكر مبني على أساس متين وركن ركين *

(رابعا) أن يكون آخذا بقسط وافر من الفنون الاقتصادية نظريا وتطبيقا واقفا على أسباب النهضة الاقتصادية في البلاد الراقية واقفا على دواعي الانحطاط الاقتصادي في بلادنا ليستطيع على التفكير في احياؤها بعد موتها وينتثبت في المشاريع العمومية وخصوصا ليتمكن من اتخاذ التدابير المحتمة التي ترقى الزراعة في أقاليمنا *

(خامسا) أن يكون دارسا علم حقوق الدول العمومية والخصوصية مطالعا على المعاهدات والعقود الدولية واقفا على تواريخ الأمم السياسية من حيث أطوارها التي تطورت بها حتى وصلت الى ما عليه الآن لاجل ان يكون ذا بصيرة في الحقوق المتقابلة والمناسبات الموجودة بين كل من دولتنا والدول الاخرى وبين كل دولة واخرى *

(سادسا) ان يكون متتبعا سير الحوادث السكونية من سياسات ونهضات واكتشافات وما يطرأ من الطوارئ والاحوال وذلك بمطالعة الصحف والمجلات لئلا يكون غافلا عما يجري في المجتمع العام وجاهلا

بشؤونه المتحولة وتطوراته المستجدة *

(سابعاً) أن يكون دارساً حق الدرس فن تقويم البلدان (الجغرافيا)
الطبيعي والسياسي والاقتصادي ليكون ذا خبرة بمواقعها ومواهبها
وقابليتها واحتياجاتها *

(ثامناً) أن يكون واقفاً تمام الوقوف على احتياجات الوطن من
الشرائع والمنافع وعلى اخلاق الشعب من حيث نزعاته وميوله . وعلى
ما تقتضيه مشارب وأمزجة كل أقليم على حدته وعلى الاخص ما يأمن
حقوق العناصر المختلفة المجتمعة تحت لواء واحد لتعيش مع بعضها بكل
صفاء وتضامن وتظهر أمام عدوها الخارجي بكل قوة وارتباط *

(تاسعاً) أن يكون ذا حزم في فطرته وعزم في همته ودمائة في
أخلاقه ورصانة في أفكاره ومثابرة في تشبثاته لا بالاهوج ولا بالارعن
وأن يكون قوى الحجة قوى العارضة قوى الجنان قادراً على الخطابة
في ذلك المحفل العظيم بجرأة واسترسال يستطيع أن يؤيد اجتهاداته
ويدعم اقتراحاته ومطالباته التي يتشبت بها سعياً وراء سعادة موكله
في حياتهم الاجتماعية *

هذا أهم صفات النائب العلمية والاخلاقية التي تؤهله لان يهيمن
على حقوق الوطن . ويجاهد في سبيل سعادته إله ما كتبه بعض علماء
الاجماع في هذا *

(٦) ﴿ ادب اعارة الكتب واستعارتها ﴾

الكتب موضوعها ونمرتها أن تتبادل وتتداول ايعم النفع بها وتجتني فوائدها فيلزم اعارتها واجتناب الضن بها ومن ضن بها فقد اجترم انما كبيراً وكان كمن كتم علماً « ومن كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار » ولكن على المعير والمستعير آداب يتحتم مراعاتها فيلزم المعير ضرب مدة لمراجعته وتخبر أهل المروءة والكمال الاعارة بدقيق التفحص . وعلى المستعير رده في الميعاد المضروب وحفظه من الابتذال وصونه مما يعرضه للاتساع والامتهان ووضعه بعد المطاوعة في الخزانة وابعاد المحبرة عن ورقه والشكر لمعيره والتبرع بتجليده إذا كان يسمح صاحبه ويرضى به والسعى بطبعه إذا كان مما يعم النفع به *

ولما كان الاكثر لا يراعى هذه الآداب ضن الناس بما لديهم (والحق لهم) ولذا كان من الحسنات الجلية اقامة مكتبات عامة وارصاد الموقوفات فيها صوتاً لها من تلاعب من لازمة لهم ولا دين من مستعيرها الخائنين *

(٧) ﴿ المكتبات ﴾

اشادة المكتبات وفتح أبوابها للقاصدين حسنة كبرى وباب سعادة عظمى لمن يدخل منه وبمقدار الاقبال عليها تكون الحياة في الامم ولكن من المحزن الغريب أن ليس لنا من هذا نصيب *

كان ينبغي أن يسأم منا موظفو المكتبات لكثرة ترددنا وكثرة ما
تطلبه من الكتب وكان ينبغي أن ننتظر الفرص بكل تشوف وننتهزها
لزيرة المكتبات وما هي الا الجنات لو كانوا يعلمون . ولكن بلغ بنا
القصور أننا لا نقصدها بل ولا يخطر ببالنا أن نقصدها يوماً من الأيام
للاستفادة بما فيها من غرائب الكتب ونفائس العلم وقد تركها الاولون
لنا ميراثاً يورث سعادة الابد وكم بحث باحثون عن مثلها فأصبحوا
أئمة العلم وأرباب الحكمة والفهم فما علينا الا البحث والتنقيب واحراز
أوفر نصيب (١)

(٨) انتخاب الكتب للمطالعة

انتقاء الكتب كانتقاء الاصحاب فعليك أن تنتخب منها أعظم
ما تروح اليه النفس وأن تكون مطالعتها لتقويم الفكر لا لضياع الزمن
وأن تنقب عن أحسن المؤلفات سيما المؤلفات الحديثة فإن في كثير
منها تحقيقاً وتسهيلاً واستدراكاً وتكميلاً يرقى الى ذرة وعالية ، وليحترز
من قراءة كتب المجنون ودفاتر المضاحك وسفين نواذر الهذيان فانهما
مفسدة الاخلاق مميتة للوقت الثمين مخرجة لناقلها من زمرة الحكماء
مسجلة عليه بكمال السخافة أو عده مسخرة من المساءر وحلى أن
ساعات المطالعة أسعد أوقات الحياة وما يطلب من السرور في غيرها
هو ظل ما يستخلص من لذيذ مسراتها ولا ينبغي لمن كبر سنهم ان

(١) عن العلم والعلماء

يقتصروا على الاشغال البدوية ويضيعوا كل أوقاتهم فيها بل عليهم
تخصيص أوقات للمطالعة والاشغال العقلية لانماء مداركهم ونفع الناس
بمعلوماتهم . يقول حكيم لو خبرت في أن أكون أكبر ملك في الارض
ولى جميل القصور والبساتين ولذيذ المآكل والمشارب وضمن العجلات
وفاخر الثياب ومئات الخدم واشترط في ذلك ان لا يكون عندي كتاب
لرفضت ذلك الملك بغير مطالعة وقياسات أن أكون فقيراً في كوخ ومعى
كثير من الكتب *

(٩) (كلمة في التاريخ)

ان من أهم ما يجب العناية بمطالعة تاريخ السلف الصالحين ما أتوا من
جليل الاعمال فان للتاريخ تأثيراً غريباً في الاخلاق والوجدانات النفسية
والميول الشريفة واعداد النفس للحياة الاجتماعية وتعلم سير النظام
الكوني في سنته من ارتباط الاسباب بالمسببات والنتائج بالمقدمات
فيتخذ الماضي مثالا للحاضر ويتبصر فيما كان يتخذه الاقدمون من
الاسباب لارتقائهم وفيما يهبط بالامم من ذرى وحيهم . يقول حكيم :
بقراءة فن التاريخ يرى الانسان كيف كانت أسلافه تريق من دمائها في
الدفاع عن بيضة وطنها . وكيف كانت تفعل أفاضل الرجال في تأييد
جامعتها وتأسيس ممالكها *

ما ذا يفيدك مثل السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء من بعده اذا قرأته

بتمعن وتفكر أليس يمثل لك الخطوات التي كانوا يسلكونها أمامهم من المصاعب الجمة انك لتجد بينها الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وابن القلب والجانب كما انك تجد في مقدمتها الصبر وصدق العزيمة وجدير بمن عرف مقدار ما تكبد السلف في تأسيس آثارهم الشاخصة من المصاعب ومقدار ما منحوا من عزيز الانفس لدى أعتاب أسوارها — أن لا تكون له يد عاملة في نقضها أو روح لا تتفاني في حمايتها وصونها *

(١٠) ﴿ أدب التجارة ﴾

للتجارة آداب يجب مراعاتها وذلك لاستجلاب قلوب الناس وبث المحبة في ضمايرها فان قوام المصالح بالمحبة ودرء الاذن مهمما أمكن . ومتى تولدت الشحناء والبغضاء في قوم وقفت حركتهم وساد السكون على مصالحهم ونشأت مفسد أخرى .

لهذا وجب التمسك بآدابها ومن الآداب المهمة بالاجال العدل في معاملة الناس بأن يجتنب مضرتهم ويحب لهم ما يحب لنفسه فكل ما يعامل به وبشق عليه ينبغي ان لا يعامل غيره به فعليه اذن أن لا يثني على السامع (البضائع المتجر بها) بما ليس فيها وان لا يكتن من عيبها شيئاً أصلاً وان لا يكتن من وزنها ومقدارها شيئاً لان ذلك كذب وتلبيس وظلم وخيانة ودناءة وإسقاط مروءة واكل لاموال الناس بالباطل . وعليه ان يحسن في المعاملة ويتساهل فيها وان يتقاضى دينه برفق وان يحط منه

لفقير وأن يقبل من يستقبله — (أى يرضى برد بضاعته عليه إذا لم يرضها المشتري) .

ومن وصية حكيم لابن له تاجر : يا بني إذا انتبهت من نومك وعملت بما أمرتك به العلماء وصليت الواجب عليك ومضيت متوجهاً الى دكانك لطلب المعاش وفتحت الدكان فسم الله تعالى فإذا انتصبت في مكانك فاخرج الميزان وامسح كفتيها مما علاها من الوسخ وحررها ليكون صحيحاً وامسح الصنجات واعتبرها رأس كل شهر وان كان كل اسبوع كان أصلح فإذا جاءك انسان فأكرمه على حسب مقداره بل أزيد واكظم غيظك وغض بصرك عن جارك واقنع في كسبك واقتصد في نفقتك وبادر بالصدقة وشرف نفسك عن الاندلاق على الزبون فإنه يستندلك (١) واتكل على الله فما كان لك سيصلك ولا تنهاون في طلب الرزق ولا تكثر منه فان الاهمال يوجب الفقر والاكثار يوجب الذلة والتعب ولا تخرج من بيتك الا وأهل بيتك راضون عنك داعون لك ولا تعاد أحداً من خلق الله تعالى وان اتفق بغير اختيارك معاداة أحد فتلافاه ودار بمالك عن عرضك وأنت تعلم وسالم الايام والناس تسلم، ولا تمدن عينيك الى النساء وان نظرت فلا تفكر ولا تضحك في وجههن فيطمعن ويتوهمن امرأ آخر وأنت برىء منه وخالط الاخيار تدعى خيراً وتكتسب من حر كاتهم ولا تعاشر الاشمرار فتعلم منهم كاقبل

(١) الاندلاق الاندفاع كما في القاموس . والزبون مسام السامعة فى عرف العامة وقوله يستندلك أى يمدك ندلاً . والنذل الخسيس والمحتقر كما في القاموس .

وقارن اذا قارنت حراً فانما * يزين ويزرى بالفتى قرناؤه
واجعل القرنا غلمانك بالعطاء وأصدقائك بالهدية وأقاربك بالتودد
ولا تكثر الكلام في البيع والشراء وزن كلامك قبل أن يخرج من فمك
وافتقد الاوعية والدكان في كل شهر مرة أو مرتين ان قدرت فان افتقاد
التاجر دكانه كطالعة العالم كتابه فكما ان الطالعة تذكر الانسان بما
سهى عنه كذلك الافتقاد يظهر الانسان حاجة كانت غائبة عنه أو
فساد شئ، فيصلحه *

وامم ما يوصى به التاجر ويؤكد عليه به هو اجتناب الغش ويكفي
في كونه معصية كبيرة حديث : « من غشنا فليس منا » وأما أضراره
ونائج السيئة فلا تحصى *

جاء في الدروس الحكيمة مانصه (١) ان الغش الذميمة مرض ينهك
قوى المجتمعات ويذهب بحياة الشعوب وذلك أن من غش يبخس الوزن
أو تغيير الصنف بادنى منه أو دفع الثمن نقوداً زائفة فقد تعدى تنقيص
العوض المستحق قبله ومن تعدى ذلك فهو ظالم غاش بل سارق محتال
وربما كان أضل وأشقى فان مرتكب جناية السرقة قد يدفعه فقر
وحاجة وذاك مرتكب جناية لم يدفعه اليها سوى طمع النفس وحبها
للظلم فكان أظلم وأحق باللامة والذم وعمله هادم لاعظام ركن من
اركان الاجتماع المدني وهو الثقة التي يتوقف عليها نظام سير المعاملات

الذنيوية وبفقدائها وقوف دولاب التجارة فتبور الصنائع وتقل
المكاسب فيحتال الناس على أسباب المعيشة ويتهاكون على تحصيل
القوت من غير طرقه الشرعية فتفسد أخلاق الأمة وتنحط لقلة العمل
مداركها وينتهي ذلك بضعف قوتها وتفريق مجتمعاتها فالقدم على الغش
يضر بأبناء جنسه بما شرحنا وب نفسه أيضاً لما أن ثروة الفرد في كل مجتمع
إنما ترتبط بثروة الباقيين فمتى قلت الثروة عند المجموع قلنا قل طبعاً
عند الفرد وأحسن دواء له محاسبة المرء نفسه في معاملته مع الناس ومراقبته
لله تعالى في ذلك بحيث يكون له من نفسه داع يدعو إلى تقوى الله
ومعاملة خلقه بالعدل *

(١١) (ادب الزراعة)

لا أحد يجمل ما للزراعة من المنافع لا لبناء النوع الانساني وذلك
بإستحصال ما أودع في كبد الغبراء من الاسرار الطبيعية التي أوجدها
مدير الكائنات ليعم النفع بها وتبادلها الافراد وتقوم المصالح ونسير
الامم سيراً حسناً بما تسلكه من سبيل الجد والاجتهاد *

ما رقت الزراعة في أمة الا ورتعت في ظل ظليل من العيش وتوكت
على أرائك السعادة وأصبحت في أمان واطمئنان من العوارض فلا
تفتأ بها أيدي الضنك والضيق اللهم الا ما جرى بالسنة الكونية . كيف لا
ولا ترى حاجة من الحاجيات الجسمية من مأكل وملبس الا ولها علاقة
بالزراعة بل لا حياة لهذا المجتمع ولا قوام له إلا بما يهدي إليه نور العقل

لاستخراج مكنونات هذه الطبيعة *

انظر الى هذه المنسوجات من صوف وحرير وقطن وغير ذلك ثم
ابحث عن منشئها بدقة وامعان ألسنت تراها من محصول الارض التي
استنتجتها الزراعة واستخرجتها لنا ، اليس تلك الفوائد والامرار من
الزراعة بواسطة صرف العقل فيما خلق له *

اذن اذا رقت الزراعة ونمت وأنت من كل زوج بهيج رقينا ونمت
أمتنا واذا كانت بهذه المثابة فما السبب الذي يصلح أحوالها *

لا مشاحة في أنه اذا درسنا فنونها وسلكنا سبيل قوانينها ونظاماتها
علمياً ثم رجعنا لانفسنا وطبقنا العلم على العمل — والزراعة علم عملي —
نبحنا في أمورنا وسمونا كما سميت جاراتنا من الامم التي فازت بالقدح
المعالي في سائر أنواع الزراعة *

نعم ان بين ظهرانينا تلك القوانين والعلوم والفنون ولكن أماننا
عقبات حالت دون أن نلم بمجموعها ونفوز منها بالمقصود وذلك لأسباب
شتى أهمها : جهل بعض أناس اتخذوا هذه الكلمة « القديم على قدمه »
دستورا لاهوالهم الاجتماعية وقاعدة في جميع خصوصياتهم وطرحوا
ما يدعو اليه هذا العصر من النظر في العلوم والفنون لتدبير شئونهم
وعودوا على ما توارثوه من كيفية الحراثة والفلاحة ومعرفة التراب
والاشجار وما يتعلق بها في حين أن الزراعة اليوم بلغت من الرقي
مبلغاً عظيماً *

أما ومن غنى بدرس الزراعة وطبق العلم على العمل ، فاستجلب
الادوات المهمة فقد يؤمل من وراء سعيه هذا أن يربح ربحاً وفيراً وأصبح
رجلاً خبيراً ذا معرفة بأراضيه مما نتج له فوائد متعددة *

خذ لك مثالا سهل التناول وهو أن الأرض الذى تستحصل مرة
واحدة في السنة يمكن لك بواسطة ما قدمنا أن تستثمرها ثانية ونجني
أثمارها الشبيهة التي ما كانت تخطر لك على بال *

واليك مثالا آخر ربما توجد أرض مهملة متروكة سنين وأعواما
يظنها من ايسر له اطلاع على فنون الزراعة انها عقيمة لا تثمر أبدا في
حين انه اذا كان له أدنى خبرة باصلاح الأرض يمكن ان يجعلها قابلة
للفلاحة والحراثة في أقرب وقت *

وقد تعرض لبعض النباتات والاشجار عوارض من الامراض
جراثيم تعلق وتثبت في غضون تلك الفصول يخالها من قصر نظره وعول
على الوراثة انها ستلتف ولا تتلافى ويدعها على طبيعتها حتى تستحكم
فيها الامراض . وأنشد تلف حقيقة فلو أنه اعتنى بدرس طبائع النباتات
فأخذ لها من الاسباب ما يحفظها لهلكت تلك الجراثيم قبل ان تتأصل
ودرئت الامراض قبل ان تتمكن . وقس على ذلك بقية الامور الزراعية
التي متى روعيت آدابها بدرس فنونها — نمت وثبتت وغدا أصلها ثابت
وفرعها في السماء فعلى من يشتغل بالزراعة والذي ليس له الملم ان
يستدعى رجلا مخرجا من احدى المدارس الزراعية المهمة ويعمل بما

يشير اليه لتكثر المحصولات وتنتشر بين العالم * وتزداد حسن الفوائد والعوائد وبالله التوفيق .

(١٢) (أدب الصناعة)

يقول بعض النصحاء : ان صناعتنا في الوقت الحاضرة لا يعوزها الا ان تمت بصلة الى النهضة العامة الحاضرة ونخضع لنواميس التجربة ومصادمة الحوادث وجها لوجه فان تأثرها بها خسارة وربحنا وانحطاطنا ورقيا أقرب الطرق لوصولها الى النجاح المنشود من سد حاجة البلد وحل مسألتها نهائيا لذلك أرى من الصواب وضع البذرة الاولى لرقى الصناعة الوطنية بتنبية الجمهور الى ما في الصناعة الوطنية الموجودة الآن من جمال خاص بها واتقان لا سبيل لانكار درجته العالية من الاعتبار . كما أرى أن الكتابة على صفحات الجرائد في هذا الباب لا تكفي وحدها للوصول الى الغرض المطلوب من حماية صناعتنا أولا وتشجيع صانعيها ثانيا بل أرى اولى من ذلك ان تكون النهضة فعلية وذلك لا يتم الا بتوجيه نظر الاصدقاء وأصدقاء الاصدقاء الى وجوب دعوة الجمهور بطريق المجالس العامة والخاصة والمؤتمرات الى ذلك الواجب الوطنى الكبير واجب تعضيد الصناعة الوطنية بقصر الشراء عليها فيما تقوم به أنواعها الموجودة الآن من حاجاتها الضرورية والكالية *

ان تأخر صناعتنا عن مساواة الصناعة الاجنبية راجع باللوم علينا (أولا) لاهمالنا ايها كل الاهمال (وثانيا) لتفضيلنا في كثير من الاحيان

مالا يفضلها في الجودة والجمال الفنى من المصنوعات الاجنبية عليها لمجرد انها اجنبية (ثانيا) لان البيوت المشتغلة الآن بالصناعة الوطنية لا يمكن اعتبارها بيوتا كبيرة ترهق السوق بكثرة محصولها فانها صغيرة جداً ومصنوعاتها لا تكاد تظهر من بين اكدام البضائع الاجنبية الا كما تظهر حبة الرمل في تل عال (رابعا) لان مصنوعاتنا رخيصة لعلو درجتها في الاتقان وقلة ثمنها بالنسبة للبضائع الاجنبية فمن السهل احتمالها بما لا يرهق السوق ولا جيب المشتري كما تتم بتوجيه نظر الصناع أنفسهم الى أنه من العبث جمودهم على ما ورثوا من أسرار صناعتهم عن الآباء والجدود في الوقت الذى يتقدم فيه كل شىء بقدم ثابتة في سبيل الرقى فان ذلك لا يؤول الا بالقضاء الاخير على مصنوعاتنا فمن الواجب عليهم اذن أن يبحثوا عن أسباب الرقى وادخال التحسينات بعد عمل التجارب المنتجة •

ومن رأي ناصح آخر ان الصناعة في البلاد الشرقية تحتاج لترقيتها الى امور (أولا) حماية الصناعة الوطنية ما يمكن الحماية من مزاحمة الصناعات الاجنبية (ثانيا) ترغيب الشركاب الغنية بالعلم والمال في تعدين المعادن وأنشاء المزارع الواسعة لانبات القطن والكتان وغير ذلك من حاجات الصناعة (ثالثا) ان يكون كبار الحكام قدوة في استعمال المصنوعات الوطنية للباس وفرش المنازل فيقتدى بهم الاهالى وتروج اذ ذاك الصناعة الوطنية ويرغب بها الصناع واذا وجد ان مكاسبهم توفرت

تفنونوا في اتقانها وتحسينها وترقيتها . (رابعاً) ان تهتم الحكومة وبلديات المدن الكبرى بانتقاء أفراد قلائل ينتخبون ممن امتازوا بالذكاء والثبات والميل الطبيعي الى احد الصناعات فيرسل هؤلاء المنتخبون الى أشهر مدارس الصناعة في اوروبا حتى اذا احرزوا نصيباً وافراً عادوا الى البلاد وتولوا هم تدريب الشعب سواء في مدارس صناعية تنشئها الحكومة او الشعب أو في معامل يشيدها شركات من الاغنياء المومنين ! هـ

(١٣) (آداب المسجد)

على داخله أن يلزم نفسه ذكر الله تعالى ونسبيحه واقامة شعائر دينه ويحتجب فيه اللغو بالباطل والسجود على عتبة ضريح فيه والطواف حوله وتقبيل حيطانه أو عمده أو مقاصيره (١) لانه لا طواف الا حول الكعبة ولا ملتمس الا ركنها ولا مقبل الا حجرها الاسود الكريم وعليه ايضاً اذا رأى حلقة علم ان يجلس اليها واذا دخله للصلاة فليجلس في صفوف المتعبدين ويستنزل بتذلة رحمة ارحم الراحمين . وبنبغي صوته عن وسخ ومخاط وتقليم اظفار وقص شارب وحلق رأس وعن رائحة كريهة من بصل وثوم ولا يقربه آكل ذلك وكذا تناول كل مايؤذى ريحه حتى يذهب منه . ويحظر فيه البيع والشراء والتكسب فيه بصناعة كخياطة

(١) ذكر حجة الاسلام عليه الرحمة والرضوان في آخر كتاب الحج قبيل كتاب آداب تلاوة القرآن من أحيائه ان المس والتقبل للمساعدة طادة المصاري واليهود . وذكر في آداب زيارة المدينة كما تسمى انه ليس من السنة ان يمس جدار الحجرة ولا ان يقبله اه فاجدر بغيره .

وغيرها واتخاذها مكاناً للمعاش وبصان من صغير لا يميز ومجنون ولقط
وخصومة ويمنع فيه اختلاط الرجل بالنساء وزخرفته بما يلهى المصلى .
ويكره فيه الخوض والفضول وحديث الدنيا ولمن اكل فيه أن يجتنب
تلويث حصره وان ينظف مالهوثة ولمن يعلم فيه أو يتعلم أو يذكر أن
يجتنب رفع الصوت . وينبغي تعهده بالكس ونجميره والايقاد فيه
بالمعروف . ومما يتعين على خدمة المساجد أن يتعهدوها بالنظافة وفتح
نوافذها وشبابيكها على المدى فان الهواء الفاسد فيها من أنفاس الجلاس
يسبب أخطاراً جسيمة من الصداع وضيق النفس وذلك لانه يحتوى
على غازات من أجسادهم ورثاتهم وهي مواد سامة فيلزم أن تفتح
الابواب والنوافذ لكي يتجدد الهواء في اطرافها كلها والشقوق الموجودة
في الابواب لا تكفي لذلك . وهكذا يقال في كل مجتمع للناس وفي
كل غرفة صغيرة يسكنها جماعة فيجب تجديد هوائها في كل برهة ويجب
على ذوي اليسار أن يلموا شعث المساجد ويتعاونوا على عمارتها .
ويتفقدوها على المدى . وما ابلغ ماكتبه شمس البلقاء الخوارزمي الى
فقيه في تعهد مسجد وهو بنصه الفائق :

أحق الاماكن بان يسان ولايهان واولاها بان ينحى عن مدرجة
الاختلال ويرفع عن ان تناوله يد الابتذال مكان بنى ليجمع شمل
التعبد ويضم نشر التهجد وترفع منه الحوائج الى من لا يضجر من السؤال
ولا يتبرم بكثرة النساأل وهو الكبير المتعال فان صيانة هذا المكان
(٩ — ٢)

صيانة الدين بل صيانة الاسلام والمسلمين وكبت الكفر والكافرين .
وما ظنك بموضع هو بيت من بيوت الله ومظنة لقراءة وحي الله تصف
فيه الاقدام بين يدي الله ويتميز فيه أولياء الله من أعداء الله وهو من
«بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه» وهو مسكن من مساكن
الابرار ومجلس من مجالس الاخيار وحصن من حصون المسلمين على
الكفار وجسر بين الجنة والنار دخوله عبادة والمقام به سعادة والاعتكاف
فيه سنة مستحسنة لا ياروى اليه كافر ولا يقربه الا طاهر من عمره عمر
طريق الآخرة ومن بناه بنى له بيت في الجنة وبلغني ما انت فيه من
بناء مسجد محلتك ضاعف الله عليه ثوابك واكرم ما بك ورضى عنك
وتقبل منك فتوسع رحمتك الله في نفقتك فانما تعامل وتساو كريمة سخيا
ولا تحاسب نفسك على دخلك وخرجك فانك بصدد اضعاف ذلك من
الثواب وانما يوفى المحسن اجره بغير حساب وتذكر قول الله تعالى: «انما
يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر»

(١٤) ﴿ زمن الفراغ ﴾

يلزم في أوقات الفراغ من العمل قراءة كتب الآداب والحكم
ومطالعة الصحف والمجلات العصرية والمذاكرة في الاندية بالمباحث العلمية
والاقتصادية مما يفيد تبادل الافكار فيه وتلذذ المناقشة به كل ذلك ضئعا على
الوقت ان يبذل في سبيل اللهو والافغ والاحاديث التافهة وانهاضاً للفكر
ليجول في ميادين المنورات والمبصرات ويقتطف ثمار المعارف الياوانات.

خاتمة في متهمات

(١) واجبات الحريص على الفضائل ﴿

إذا كانت النفس خيرة فاضلة تحب نيل الفضائل وتحرص على اصابتها وتشتاق إلى العلوم الحقيقية والمعارف الصحيحة فيجب على صاحبها أن يعاشر من يجانسه ويطلب من يشاكله ولا يأنس بغيرهم ولا يجالس سوامهم ويحذر كل الحذر من معاشرة أهل الشر والمجون والمجاهرين بركوب الفواحش المذمومين فيها ولا يصفى إلى اخبارهم مستطيبا ولا يروي أشعارهم مستحسننا ولا يحضر مجالسهم مبهجاً وذلك ان حضور مجلس واحد من مجالسهم وسماع خبر واحد من أخبارهم يتعلق من ضرره ووسخه بالنفس ما لا يغسل عنها إلا بالزمان الطويل والعلاج الصعب وربما كان سبباً لفساد الفاضل المحنك . والعلة في ذلك ان محبة اللذات البدنية والراحات الجسمية طبيعة للانسان لاجل النقائص التي فيه فهو بالجيلة والفطرة السابقة يميل اليها ويحرص عليها وانما يزوم نفسه عنها بزمام العقل حتى يقف عند ما يرسم له ويقتصر على المقدار الضروري منها *

(٢) ﴿ تعهد النفس بمراقبتها ﴾

معلوم ان قوى النفس الانسانية مفتقرة دائماً الى تعهدا بالترية والتنقف فالارض مثلاً لا تخرج ما في أرحامها إلا بالفلاحة وهي لا تكون

الا بآلات خاصة بها واسباب تهيوها والكتابة لا تكون إلا بأدوات خاصة بها كاقلم وتوابعه .

أما هذه الادوات في التربية فهي عبارة عن العلم الصحيح والمعلم الكامل والاخلاق المهذبة وحسن الاسوة من الال والاقربان واحكام المراقبة التي يكون بها اجتناب كل ما يخل بالادب والكمال مع تعهد يستمر في تقويم الطباع المتأصلة والعقائد الموروثة الى الصحيح السالم منها * وبديهي أن التربية بهذا المعنى تشمل الوقوف عند حدود الاوامر والنواهي الشرعية بعد معرفة الحلال والحرام ومقاومة الشهوات النفسانية وصرف قواها الى صالح الاعمال الكفالة لسعادة الانسان في معاشه ومعااده لهذا ترى الامم العاملة على اعلاء مجدها تصرف عنايتها في نشر العلوم النافعة وبث أفكارها في عقول بنيها على يد أساتذة كرام من صفوتها أدباً وديناً وعلماً وأخلاقاً ليكونوا أمناء على المتعلمين . قال بعض الحكماء : يا بني اعلم ان العز في طاعة الله والذل في معصية الله والناس يتفاضلون بالعقل ويتميزون بالعلم ويتفاوتون بالعمل ويسودون بالحلم فعليك في دينك بالازدياد وفي دنياك بالاعتصام * وقال آخر : اعلم أيها الناشئ انك اليوم طفل وبعد مدة تصير رجلاً عليك مدار كثير من الاعمال ولك أولاد وأهل تقوم بنفقتهم وأرزاقهم فاحفظ ما تعلمه في صغرك ينفعك في كبرك فالولد المهذب هو الذي يسعى وراء ما يعود عليه بالفائدة وعلى أمته بما يكفل لهم السعادة —

(٣) ﴿وصايا الحكيم المستعصي﴾

قال الحكيم المستعصي : يجب على المعنى باصلاح أخلاقه مراعاة هذه الامور (١) أن يقتنم الحياة التي بها فارق الاموات والجماد فيصرف زمانه في المهم دون غيره (٢) ان يحفظ وقته فقد قيل : « ان امرأ ذهب من عمره ساعة لخرى أن تطول حسرته عليها » (٣) ان يكون متفقداً لجميع أخلاقه متيقظاً لسائر أحواله منتقصاً لمذموم عاداته (٤) ان يكون أبداً عاشقاً لصورة الكمال مستلذاً محاسن الاخلاق ومحمودها (٥) أن يعتنى بتهديب نفسه فلا يستكثر ما يقتنيه من الفضائل والعلوم النافعة (٦) ان يكون مستصغراً للتربية العليا طالباً غايتها بجهده جاعلاً غرضه الاحاطة بها (٧) ان لا يقف عند غاية من العلم الا ويوميء بطرفه إلى ما فوقها ليزداد بصيرة (٨) : ان يأخذ نفسه بأوامر الله ورسوله وأولى الامر من بعده سيؤدبها بأدابهم (٩) : ان يسدد طرفاً من علم اللسان ويعتني بالبلاغة والفصاحة والكتابة والدرس (١٠) : ان يجعل لشهواته قانوناً راتباً يقصد فيه الاعتدال ويجتنب الاسراف (١١) : ان يجمع أبداً سورة القوتين الغضبية والشهوانية ويستعمل قوة العقل عليهما (١٢) ان يجتنب محادثة الغير بالكلام واستعمال السفه بالالفاظ القبيحة ويترك الحلف (١٣) ان يكون سهل اللقاء والبشر والتسليم سابقاً به بعيداً من الاشرار مستعمل القصد في كل أموره (١٤) : ان يجتنب مخاطبة النساء والصبيان والعامة والسفهاء ويلازم الصمت عما لا ينبغي (١٥) : أن يحترز

من دخول النقص عليه وليجتهد في بلوغه غاية الكمال .

(٤) ﴿ ثمرة التأدب بمكارم الاخلاق ﴾

أوصى بعض الحكماء بنبيه فقال : الادب أكرم الجواهر طبيعة وأنفسها
قيمة يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجميلة ويعز بلاعشيرة ويكثر
الانصار لغير ذرية فالبسوه حلة وتزينوه حلية يؤنسكم في الوحشة ويجمع
لكم القلوب المختلفة . قال الشاعر :

ما وهب الله لامريء هبة * أفضل من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فان فقدنا * فان فقد الحياة أحسن به

وأوصى آخر ابنه فقال : يا بني الادب دعامة أيد الله بها الابواب
وحلية زين بها عواطل الاحساب فالماقل لا يستغنى وان صحت غريزته
عن الادب المخرج زهرته كما لا تستغنى الارض وان عذبت تربتها عن
الماء المخرج ثمرتها *

وقال ابن المقفع : ما نحن الى ما نتقوى به حواسنا من الطعام والمشرب
بأحوج منا الى الادب الذي هو لقاح عقولنا فان الحبة المدفونة في الترى
لا تقدر ان تطلع زهرتها ونضرتها الا بالماء الذي يعود عليها من مستودعها
وقال آخر : الشرف كل الشرف والفضل كل الفضل ان تفخر بعملك
الطيب فهو الذي يجعلك غرة في جبين اسرتك ودرة في جيب بيتك
ويصيرك نادرة زمانك وجوهرة ايامك *

﴿ مسك الختام ﴾

« في مختارات أبيات يمهّد الى المتأدّب بحفظها »

من سنة المؤدّبين المتقدّمين أن يأخذوا على المتأدّبين حفظ
مختارات من الشعر، قصائد ومقاطع وشواهد * ولما كان كتابنا هذا
لا يتسع الا للشواهد التي لاغنى بالمتأدّب عنها أوردنا منها مختارات
على ترتيب حروف الهجاء صدرأ وعجزاً ثلاثاً ثلاثاً فيحسن بالمتعلم أن
يستظهرها ويدل على فطائه بالاستشهاد بها في مواطنها وعليه بعدها أن
يراجع دواوين الشعراء ويستظهر أبداع ما نسجوه وأبلغ ما نظموه فيكل
أدبه وتعلو رتبته *

(حرف الهمزة)

إبدأ بنفسك فانها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
احفظ لسانك لا تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق
أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم * فطالما استعبد الانسان احسان

اذا صاحبت في أيام بؤس * فلا تنس المودة في الرخاء
وهي قلت هذا الصبح ليل * أيعمى العالمون عن الضياء
اذا ما الحر أجذب في زمان * ففنته له زاد وماء

(حرف الباء)

بادر الى الفرصة وانهمض لما * تريد فيها فهي لا تلبث
بالرفق مارس ولا ين من تخالطه * تربح وخالط اذا لم ينفع اللين
بذا قضت الايام ما بين اهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد.

ولست بمستبق أخا لا تله * على شعث أي الرجال المذهب
سعى رجال فذا لواقدر سعيهم * لم يأت رزق بلا سعي ولا طلب
فهم يطفئون المجد والله واقد * وهم ينقصون الفضل والله واهب

(حرف التاء)

تأمل سطور الكائنات فانها * من الملائكة الى الكائنات
تبدي عيونهم ما في قلوبهم * والعين تظهر ما في القلب أو تصف
تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كن هو جاهل

فلا تسأل المرء عن سنه * ولا ماله واخش أن تغتصا
نظرت الى الاربعون فأصرخت * شبي وهزت للحنو قناتي
ومن الاقارب من يسر بميتي سفهاً * وعز حياتهم بحياتي

(حرف الشاء)

ثراء المال يفنى بعد حين * وتبقى الباقيات الصالحات

ثلاثة ليس بها اشتراك * المشط والمرآة والسواك
ثوب الرياء يشف عما تحته * فإذا اكتسبت به فأنك عارى

من أحسن الدهر وقتا ساعة سلمت * من الشرور وفيها صاحب حدث
وليس يأمن قوم شر دهرهم * حتى يحلوا ببطن الأرض أجداثا
بئس الاخلاء ليس البر شيعةهم * لو بر مقسمهم يوما غدا حثا

(حرف الجيم)

جراحات السنان لها التثام * ولا يلتام ما جرح اللسان
جزى الله الشدائد كل خير * عرفت بها عدوى من صديقي
جود الفتى يكفيك نسأله * والعدم خير من سؤال البخيل

وانى لاحي الجار في كل ذلة * وأفرح بالضيف المقيم وأبهج
رويدك فاهموم لها رتاج * وعن كذب يكون لها انفراج
خذوا في سبيل العقل تهذوا بهديه * ولا يرجون غير المهيمين راج

(حرف الحاء)

حب السلامة يثني عزم صاحبه * عن المعالي ويفري المرء بالكسل
حسب الفتى أن يكون ذا حسب * من نفسه ليس حسبه حسبه
حسن الحضارة مجلوب بتطرية * وفي البداوة حسن غير مجلوب

وأيسر من كفي اذا ما مددتها * لنيل عطاء مد عنقي لذابح
واذا رمتك من الرجال قوارص * فسهام ذى القربى القرية أجرح
أسنى فعالك ما أردت بفعله * رشدأ وخير كلامك التسبيح

(حرف الخاء)

خلق اللسان لطقه وبيانه * لا لسكوت وذاك حظ الاخرس
خليلي ليس الرأي في صدر واحد * أشيرا على اليوم ما تريان
خليلي لا والله ما من مله * تدوم على حي وان هي جلت

وهى همى فى دار دنيا * بوضع مآثر تتلى لناسخ
تنسكت بعد الاربعين ضرورة * ولم يبق إلا أن تقوم الصوارخ
أحسن بهذا الشرع من مله * يثبت لا ينسخ فيما نسخ

(حرف الدال)

دع التكاسل فى الخيرات طلبها * فليس يسعد بالخيرات كسلان
دع ما يريب لامر لا ارتياب به * بذاك أوصى البرايا سيد البشر
دعكم الى خير الامور محمد * وايس العوالى فى القنا كالسوافل

أقلد وحدي فليبرهن مفسدي * فما أضيع البرهان عند المقلد

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته • وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ومن عاش بين الناس لم يخل من أذى * بما قال واش أو تكلم حاسدا

(حرف الذال)

ذريني أنل ما لا ينال من العـلا * فصعب العـلا في الصعب والسهل في السهل
ذريني فإن البخل لا يخلد الفتى * ولا يهلك المعروف من هو فاعله
ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته * ما فاته وفضول العيش أشغال

خل السرور لمن يفر به • واعبد الهك واحدا فذا
نبذتم الأديان من خلفكم * وليس في الحكمة أن تنبذا
تروى المرء جبار الحياة وإن دنت * منيته الفيتة وهو مستخذى

(حرف الراء)

رأيت العز في أدب وعقل • وفي الجهل المذلة والهوان
وأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويعد بهم داء الفساد إذا فسد
رخالة ليل بمنش العيش منة صفة * والعز عند رسم الانقذ الذلل

كان فؤادي من تذكرة الحمى * وأهل الحمى ينفو به ريش طائر
سموت إلى العلى وعلوت حتى * رأيت النجم تحنى وهو يجري
انى أوارى خلتى قاربهم * رياء وفي سر الفؤاد أوار

(حرف الزاي)

زن القول من قبل الكلام فانما * يدل على قدر العقول التكلم
زيادة المرء في دنياه نقصان * وربحه غير محض الخبز خسران
زين أخاك بحسن وصفك فضله * وأذع لما يأتي من الحسنات

لا ترض وعداً أن قدرت على ندى * وإذا وعدت فيسر الانجازا
وليس على الحقائق كل قولي * ولكن فيه أصناف المجاز
وعدتنا الايام كل عجيب * وتلون الوعود بالانجاز

(حرف السين)

ساعد صديقك في أمر بمحاولة * فالحر لحر معوان على الزمن
سافر نوجد عوضاً ممن تفارقه * وانصب فان اكتساب المجد في النصب
سيد كرنى قومي اذا جد جدم * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

فما كل من بشري القنابطن العدا * ولا كل من يلقي الرجال بفارس
يضيق مكانى عن سواى لانتى * على قمة المجد المؤئل جالس
زرت القبور فما آنت من شبح * هيات أوحش خل بعد ايناص

(حرف الشين)

شاور سواك اذا نابتك مشكاة * يوما وان كنت من أهل المشورات

شكرتك ان الشكر دين على الفتى * وما كل من أوليته نعمة يقضى
شهوات الانسان تكسبه الذل * وتلقبه في البلاء الطويل

سل الليل عنى هل أذوق رقاده * وهل لضلوعي مستقر على فرشى
ألقى صدر الخيل وهي عوابس * وأنا ضحك نحوها وبشوش
أرى حسن البقاء لمن يرجي * فلاحاً أو به رجل يعيش

(حرف الصاد)

صاحب البغي ليس يسلم منه * وعلى نفسه بغى كل باغ
صحبة يوم نسب قريب * وذمة يحفظها اللبيب
صديقك من يرعاك عند شديدة * فكل تراه في الرخاء مراعيًا

تواصوا ببذل العرف بل بعثتهم * عليه سجاياهم بغير تواص
من طال فوق منتهى بسطته * أعجزه نيل الدنيا به القضا
لقد حرصوا على الدنيا فبادوا * فلا تك في الحياة من الحراص

(حرف الضاد)

ضجر الفتى في الحادثات مذمة * والصبر أليق بالرجال وأوفق
ضدان لما استجما حسنا * والضد يظهر حسنه الضد
ضبايع العمر في عبث وهو * ضلال لا يشابه ضلال

ومكائد لي بالمغيب رميته * بصريمة كالنجم في منقضة
من معشر بذلوا النفوس سماحة * وحموا بيوت المجد أن تنقوضا
وخذ لنفسك من عمر تضيعة * جزأ ولا ترسلن الامر تفويضا

(حرف الطاء)

طبع الفتى يصلح بالنطيع * فاعرف طباع الصالحين واتبع
طلب الاماني بالتواني خلة * لا يلحق العلياء باع مقصر
طمع الفتى ذل وعفة نفسه * عزوكم شره يجر الى شرك

كأن دنياك ماء حوض * آخره آجن خبيط
من لك بالمهذب النذب الذي * لا يجد العيب اليه مختلط
فجد بعرف ولو بالنذر محتسبا * ان القناطر تمحوى بالقراريط

(حرف الظاء)

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها * وعدوا مصالحها وهم أجراؤها
ظن الحسود بنا الظنون وكبده * في نحره فالله خير حافظا
ظهور العدل يمحو كل شر * إذا جاء الصباح مضي الظلام

من الناس من لفظه أولو * يبادره اللفظ اذ يلفظ

وبعضهم قوله كالحصا * يقال فيلغى ولا يحفظ
ومن البرية من يعيب بجهله * أهل السنات وليس بالمتيقظ

(حرف العين)

عادات هذا الدهر ذم مفضل * وملام مقدم وعذل جواد
عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجر يوضع في الرماد فيخمد
على قدر أهل العزم تأتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم

وذكر بالتقى نفراً غفولاً * فلولا السقى ما نمت الزروع
كابد الالهوال في زورته * ثم ما سلم حتي ودعا
ظنوا وميض البرق بارق نجمة * ما نحت كل وميض برق مرتع

(حرف الغين)

غضب الكريم وان تأجج ناره * كدخان عود ليس فيه سواد
غفلة المرء عن دواعي المعالي * من دواعي تخلف الآمال
غير مجد في ملتي واعتقادي * صوت باك ولا ترنم شادي

عد عن شارب كأس أسكرت * فهو مثل الكلب في الرجس وان
وأروح الرزق ما وافاك في دعة * حلا وقسم في أيامه بلغا
لنا في العلا نفس تعز برها * وقلب بغير الفكر والشكر فارغ

(حرف الفاء)

فأنعم ما بدأت به وأنعم * فما المعروف الا بالتأم
فقل لمرجى معالى الامور * بغير اجتهاد طلبت المحالا
فواد الفتى نصف ونصف لسانه * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وان يعيوا سواداً قد كسيت به * فالدر يستره ثوب من الصدف
ينجمون وما يدرون لو سئلوا * عن البعوضة اى منهم تقف
لك الخير قد وفيت جودك فرصة * ومن بذل المجهود في شكره وفى

(حرف القاف)

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع
قد قضى ما عليه من بلغ الجم * د وان لم يصل الى ما ارادا
قيمة كل امرئ تراه * ما يقتنيه من العلوم

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * درأ يعود من الحياء عقيقا
لا أطمئن ولا أتوق الى هوى * ولكل حي في الحياة متاق
وسيحذر الدعوى اللبيب فانها * للفضل مبهطة وخطب موبق

(حرف الكاف)

كفى حزنا ان الجواد مقتر * عليه ولا معروف عند بخيل

كل امرئ راجع يوماً لشيمته * وإن تمتع أخلاقاً إلى حين
كل من في الوجود يطلب صيداً * غير أن الشباك مختلفات

كيف السلو وما سمعت حائماً * يندبن إلا كنت أول باك
والعين تبصر أين حبتها * لكنها تعمى عن الشرك
جهل الديانة من إذا عرضت له * أطاعه لم يلف بالتماسك

(حرف اللام)

اعمرك ما الأيام إلا معارة * فما استطعت من معروفها فتزود
للبيكاء النساء عند الرزايا * ولحسن العزاء فيها الرجال
لها في طرفها لحظات حنف * تمت بها ونحيي من تريد

ألا أيها القلب اللجوج المعذل * أفق عن طلاب البيض أن كنت تعقل
ولى في كل معركة حديث * إذا سمعت به الإبطال زلوا
تجنب الزهو في الدنيا فلو زهيت * غر الغمام لذل القطر اذ نزلا

(حرف الميم)

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه * إذا كنت تبنيه وغيرك هادم
من لم يقف عند انتهاء قدره * تقاصرت عنه فسيمحات الخطا
من ضيع الحزم جنى لنفسه * ندامة أذع من سفح الذكا

(١٠ - ٢)

أرى ألف بان لا يقوم بهادم * فكيف بيان خلفه ألف هادم
وكيف يطبق الصب كتمان سره * وهل يكنم الوجد امرء هو مفرم
وما الفضل في أهل الشرايش سبة * وما الفضل محصوراً بأهل العائم

(حرف النون)

نافس على الخيرات أهل العلا * فأنما الدنيا أحاديث
نفس عصام سودت عصاما * وعلمته انكر والاقداما
نهيتك لاتعجل بعتب اصاحب * اهل له عذراً وأنت تلوم

فكم يشكو كريم من لثيم * وكم يلقي هجان من هجين
لو كانت الخرحلا ما سمحت بها * لنفسي الدهر لا سرأ ولا علنا
يهوى الثناء مبرز ومقصر * حب الثناء طبيعة الانسان

(حرف الهاء)

هذى الحياة مسافة فاصبر لها * كما تبين وأنت غير ملوم
هذا البياض رسول الموت يبعثه * في كل عصر الى الاجيال والامم
هي الراح أهل الطول المهجاء * وان خصها معشر بالمدح

والليل سيف الفجر في فرقه * يقتله والديك ينعاه

اشبهت في العلياء جدك أحداً * ان الاكارم في العلا أشباه
أعوذ بالله من قوم اذا سمعوا * خيراً أسروه أو شراً أذاعوه

(حرف الواو)

واذا الكريم مضى وولي عمره * كفل الثناء له بعمر ثان
وآفة العقل الهوى فمن علا * على هواه عقله فقد نجا
وقل من جد في أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وجدت الرفق أبلغ في السمو * ولم أر كالتواضع في العلو
اذا أهلت ديار من أناس * فسوف يمسا منهم خلو
وما أنا يائس من عفو ربي * على ما كان من عمد وسهو

(حرف لام الف)

لا نجد بالعطاء في غير حق * ليس في منع غير ذى الحق بخل
لا تجعل الهزل دأباً فهو منقصة * والجد تعلو به بين الورى القيم
لا تجعل دليل المرء صورته * كم مخبر سمج من منظر حسن

عركت نوائب الايام حتى * رأيت كثيرها عندى قليلا
وسائلين بحالى كيف صورتها * فقلت قد نطقت حالى لمن عقلا
واذا أذلت النفس في طلب العلا * فلتلفن لما ملكت مذيلا

(حرف الياء)

يقولون لى فيك اتقباض وانما * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجبا
يأبى الفتى الا اتباع الهوى * ومنهج الحق له واضح
يعيون لوني بالسواد جهالة * ولولا سواد الليل ما طلع الفجر

تروم شفاء ما الاقوام فيه * رويدك ان داء القوم اعبي
دعالي بالحياة أخو وداد * لعمر ك انما تدعو عليا
اذا الانسان كف الشر عنى * فسقيا في الحياة له ورعا

﴿ قال مؤلفه جزاه الله خيرا ﴾

هذا ما قدر لنا جمعه داعين أن يعم نفعه فعلى المتأدب ان يحتفظ
بدرره ويستظهر من غوره فان وعيه لحكمه من تمام النعمة
لا سيما خواتمه المنظومة وفي الحديث « ان من الشعر
لحكمة » وكان مؤلفه ابتداء بتسويده عام (١٣٢٢)
ثم أعاد النظر اليه مرات الى ان تم تبليغه في
شعبان سنة (١٣٣١) بدمشق الشام *
والحمد لله ذى الجلال والاكرام

